جامعة قاصدي مرباح – ورقلة–
كلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم : ا لعلوم الإنسانية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي
شعبة: الفلسفة
تخصص: تاريخ الفلسفة

إعداد الطالبتين:
– سارة بن عمر
– كريمة لاتامن

مفهوم الطبيعة البشرية وأهميتها في التوظيف السياسي عند مكيافيللي

نوقشت وأجيزت علنا بتاريخ: **26 / 05** /2015 .
أمام اللجنة المكونة من السادة

أ/.برابح عمر..... (–جامعة قاصدي مرباح ورقلة) رئيسا
أ/ طاهير رياض.....(–جامعة قاصدي مرباح ورقله) مقررا
أ/..بن قويدر عاشور..... (– جامعة قاصدي مرباح ورقلة) مناقشا

السنة الجامعية:2015/2014

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

قال تعالى :"رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي و أن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين" (سورة النمل الآية 19) .

سبحان الله والحمد لله، نحمده ونشكره شكرا عظيما، الذي أنعم علينا من فضله، ووفقنا ويسر أمرنا، وسدد خطانا، في استكمال هذا البحث.

بعد شكر الله تعالى، على كريم فضله وحسن توفيقه لنا على انجاز هذا البحث، فإنه يشرفنا أن نتقدم بخالص تشكرتنا، وتقديرنا واحترامنا إلى أستاذنا الفاضل:"**رياض طاهير**"، حفظه الله ورعاه على تفضله بقبول الإشراف علينا في هذا البحث، والذي كان شرف عنايته وصبره معنا، والجود بإرشاداته السديدة، ونصائحه الغالية وتوجيهاته المفيدة، من أجل أن ينجز هذا البحث على ما هو عليه، جزاك الله خير أستاذنا وأطال الله في عمرك، وأبقاك ذخرا للعلم والوطن.

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى جميع الأساتذة، الذين قدموا لنا يد العون طيلة المشوار الجامعي، ونخص بالذكر الأستاذ الدكتور"**علي سعد الله**"و الأستاذ "**عاشور بن قويدر**" والأستاذ"**عمر حمداوي**".

ولا ننسى أن نشكر كل من قدم لنا يد العون والمساعدة في إنجاز هذا البحث، من العاملين في المكتبات والإدارة وخارج إطار الجامعة.

كما لا يفوتنا أن نشكر الأساتذة الأفاضل، لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة وتقييم هذا البحث، جزاهم الله عنا جميعا خير الجزاء.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير، أن ينفع بهذا العمل قارئه، وان يتقبله في ميزان الحسنات، إنه سميع قريب مجيب الدعوات.

كريمة و سارة

الفهرس

العنوان	الصفحة
مقدمة.....	أ-ج
الفصل الأول: في نشأة الدولة.....6-17	
تمهيد.....	6
المبحث الأول: في ماهية الدولة.....	8
المبحث الثاني: النظريات المفسرة لنشأة الدولة.....	12
المبحث الثالث: مفهوم المجتمع السياسي عند مكيافيللي.....	17
الفصل الثاني: الطبيعة البشرية وأهميتها في البناء السياسي.....21-32	
المبحث الأول: مفهوم الطبيعة البشرية.....	22
المبحث الثاني:مشروعية القوة في مقابل الطبيعة البشرية.....	25
المبحث الثالث: هدف الأمير السياسي.....	29
الفصل الثالث: الميكيافيلية وولوج التيار العلماني بالمفهوم الحديث.....32-43	
المبحث الأول: علاقة السياسة بالأخلاق.....	34
المبحث الثاني: علاقة السياسة بالدين.....	38
المبحث الثالث: تأثير الفكر السياسي الميكيافيلي في العصر الحديث.....	41
خاتمة.....	45
قائمة المصادر المراجع.....	48

مقدمة

مقدمة

مهما اختلف الناس في أجناسهم وطبقاتهم وتطوراتهم الاجتماعية؛ فإنهم خضعوا في الماضي ويخضعون في الحاضر وسيخضعون في المستقبل إلى سلطان سياسي.

فما يميز السلطة بكونها قادرة على الحكم والإكراه و السيطرة والسيادة، تبقى السلطات الأخرى القائمة الغير سياسية، كسلطة الكنيسة والسياسة المدرسية أو الرياضية تبقى سلطة اختيارية، ولا يخضع لها الناس إلا بإراداتهم، بعكس السلطة السياسية التي لا يستطيع المرء الإفلات منها؛ إلا إذا اتبع طرقا قانونية خاصة ينص عليها القانون الصادر عن السلطة السياسية ذاتها.

كان البشر وسيبقون مضطرين بالانتماء والخضوع إلى مجتمع سياسي اتخذ شكل الدولة وبالتالي فالسيادة؛ هي التي تفرق بين المجتمع السياسي عن أي نوع من أنواع المجتمعات الأخرى، والقوة العليا في المجتمع هي التي تجعل من السلطة سيادة. لكن بقيام عصر النهضة تغير منحى الفكر السياسي في أوروبا، و تميز عصر النهضة بازدهار الملكية المطلقة ؛ أي السلطات المطلقة للملوك على جميع أنحاء الدولة، وبالتالي أدى إلى انهيار أنظمة الإقطاع بحيث تميز هذا الأخير بتفتت الدولة، في حين أن عصر النهضة تميز بوحدة الدولة؛ أي شعور الأفراد برابط الوحدة والهدف المشترك أي شعور بتنمية الروح القومية فيما بينهم.

إضافة إلى ذلك ساد في عصر النهضة حركات وأفكار فكرية وفنية واقتصادية جديدة، حلت محل الفكر السكولائى . وعلى ذلك فإن تطور هذه الأوضاع إنما يشير إلى عصر جديد يعبر عنه بعصر النهضة؛ الذي يعتبر مرحلة انتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، ولقد رأي الكثيرين أن عصر النهضة يشمل القرنين الخامس عشر(15م) والسادس عشر(16م)، بحيث ظهرت فيه مجموعة من النظريات السياسة ومن أشهرها نجد النظريات السياسية التي ناد بها نيكولا مكيافيللي **Nicolas Machiavel** (1469-1527)[1]؛ حيث تميز أسلوبه في أرائه ونظرياته بالواقعية، التي تستند على شواهد من التاريخ، وقد كانت نظرياته نتيجة لظروف العصر الذي نشأ فيه، وكذا تطورات البيئة التى أحاطت به، مما أدى به الى اعتناق المبدأ الواقعي الذي يستند على القوة والحذر خاصيتان ضروريتان للحاكم، ومن أشهر النظريات التي نادى بها مكيافيللي هي نظرية "الأمير"؛ بحيث ير بأن ما صار عليه أمراء إيطاليا وما كان الحال عليها، لذلك ذكر أنه لا

1- ولد نيكولا مكيافيللي في مدينة فلورنسا الواقعة في وسط ايطالياسنة1469 كان الابن الأكبر لبرناردو وزوجته بارتولومي وتوفي فيها سنة 1527 .

خلاص لإيطاليا والخروج من أزمتها السياسية، إلا بصنع أمير قوي يستطيع فرض قوته ويزيل عوامل الفساد ويحقق الوحدة القومية لإيطاليا.

ومن خلال دراستنا لأهم كتب مكيافيللي السياسية، خاصة كتاب "الأمير" وكذلك كتاب "المطارحات"وبعض كتب الفلسفة السياسية خلال عصر النهضة والعصر الحديث، تبين لنا أن أهم أفكاره تتمحور حول البحث عن القوة والعظمة لضمان استمرار الدولة وتوسيع نفوذها، وذلك من خلال فصل الدولة عن الأخلاق والدين، وكذا دراسة الطبيعة البشرية التي نظر إليها نظرة تشاؤمية، حيث وضحها للأمير ووضع له مجموعة من النصائح لمعرفة كيفية التعامل معها، وذلك من منظور أنها طبيعة سيئة لابد من الحذر منها وفرض النظام عليها.

ومن خلال ما سبق ذكره تبادر إلى أذهاننا الإشكالية التالية:

ما هو مفهوم الطبيعة البشرية؟ وما علاقتها بالسياسة عند مكيافيللي ؟ بتعبير أخر:

ما هي أهمية الطبيعة البشرية؟ وكيف وظفها مكيافيللي في البناء السياسي؟

و لتحليل هذه الإشكالية اتبعنا عدة مناهج، بداية بالمنهج التحليلى المقارن وذلك من خلال تحليل أفكار مكيافيللي السياسية، وهذا بالاعتماد على أهم نصوصه، أما المقارن فتم استخدامه في المقارنة بين النظريات المفسرة لنشأة الدولة وكذا ماهيتها .

أما المنهج التاريخي من خلال إتباع الصيرورة التاريخية لنشأة الدولة، والتأثيرات التي خلفها مكيافيللي في العصر الحديث والمعاصر.

وكذا المنهج الوصفي الذي يصف حالة إيطاليا في عصر مكيافيللي.

ولتفكيك هذه الإشكالية السابقة قمنا بتقسيم البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية وهي كالأتي:

تمهيدي الذي تطرقنا فيه إلى محاولة الإلمام الأوضاع السياسية التي كانت سائدة عند مكيافيللي وكان لها تأثير بالغ في بناء شخصيته و فكره السياسي.

فالفصل الأول الذي كان عنوانه: نشأة الدولة ويعتبر بمثابة بوابة للبحث، حيث تعرضنا فيه إلى ماهية الدولة لغة واصطلاحا وعند بعض الفلاسفة اليونانيين والعرب، لنصل إلى النظريات المفسرة لنشأنها، فقبل الحديث في النظرية السياسية عند مكيافيللي وجب علينا الإحاطة بمفهوم المجتمع السياسي والدولة.

وفي الفصل الثاني الذي كان بعنوان الطبيعة البشرية وأهميتها في البناء السياسي؛ الذي يشمل على مفهومها وخصائصها ومشروعية القوة السياسية في مقابل هذه الطبيعة البشرية، وبعدها هدف الأمير السياسي وكيف يكون ناجح في حكمه.

أما في الفصل الأخير و كان عنوانه المكيافيللية وولوج التيار العلماني بالمفهوم الحديث، تناولنا فيه علاقة السياسة بالأخلاق وكذلك بالدين، تم تطرقنا إلى تأثير الفكر السياسي المكيافيللي في العصر، حيث أخدنا نموذجا عن ذلك وهو نظرية العقد الاجتماعي (ولوك) وكيف كانت نظرتهم بالنسبة للدولة والدين.

ونظرا لأهمية الجانب السياسي في الحياة الاجتماعية قديما وحديثا، ومدى مساهمة الطبيعة البشرية في التوظيف السياسي، وأخذنا بعين الاعتبار خصائصها وكذا دور الحاكم الناجح.

أما أسباب اختيار الموضوع هو غياب الدراسات المتخصصة في هذا المجال، منها ما يتناول الطبيعة البشرية، وتأثيرها على الفكر السياسي في العصر الحديث والمعاصر،

ولعل من الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا قلة المصادر والمراجع والدراسات السابقة في هذا الموضوع، وصعوبة التعامل مع المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

الفصل الأول:

في نشأة الدولة

تمهيد

1- في ماهية الدولة
2- النظريات المفسرة لنشأة الدولة
3- مفهوم المجتمع السياسي عند مكيافيللي

تمهيد

يعتبر عصر النهضة هو حلقة وصل بين العصر الحديث و العصور الوسطى، حيث بدأت في ايطاليا حركة عصر النهضة، وفي بداية الأمر كانت هذه الفكرة عند عدد قليل من الأفراد، ولكن خلال القرن (15) انتشرت عند الأغلبية العظمى من الايطاليين المثقفين علمانيين وكنسيين على حد سواء، فنلاحظ أن هذه الفترة تمثل نوع من التحرر من سلطة الكنيسة، ولقد مس هذا التحرر كل جوانب الحياة البشرية، إلا إن الأوضاع السياسية في ايطاليا كانت تمتاز بما يلي:

– كانت إيطاليا في الأغلب متحررة من التدخل الأجنبي، إلا أن غزا الملك الفرنسي « شارل الثامن » البلاد سنة 1494، وكانت إيطاليا مقسمة إلى خمس دوليات: ميلانو، والبندقية، وفلورنسا، روما، مملكة نابولي[1]، بالإضافة إلى هذه الدويلات كانت هناك عدد من الإمارات الصغيرة تتفاوت في تحالفها أو خضوعها لدولة من الدول الكبرى، وحتى سنة 1378 بحيث كانت(جنوا) تنافس (البندقية) في التجارة وفي القوة البحرية، ولكن بعد تلك السنة أصبحت «جنوا» خاضعة لسيادة (ميلانو).

– أن ميلانو التي قادت المقاومة ضد الإقطاع في القرنين الثاني عشر (12م) والثالث عشر (13م) وقعت تحت سيطرة "أفيسكونتي " Visconti، وهي أسرة كانت سلطتها سلطة طبقة حاكمة ثرية غير إقطاعية، وقد حكم أفرادها(170) عاما من سنة 1277 إلى سنة 1447، ثم بعد ثلاثة سنوات من العودة إلى الحكومة الجمهورية نالت أسرة جديدة مقاليد الحكومة من سنة 1494 حتى سنة 1535. [2]

– لقد كانت « ميلانو» ساحة للمعارك بين أسبانيا وفرنسا، انحازت، وكانوا في تلك الفترة أحيانا في المنفى وأحيانا تحت المراقبة.

– في سنة 1535م ضم الإمبراطور «شارل الخامس » ميلانو وبقيت جمهورية البندقية إلى حد ما خارج دائرة السياسة الإيطالية، خاصة في القرون الأولى من عظمتها، فلم يقهرها البرابرة.[3]

---

[1]- إبراهيم مصطفى إبراهيم، **الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم**، (دط؛ الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000)، ص 47.

[2]- برتراندرسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، تر: محمد فتحي الشنطي، (ط3 ؛ الإسكندرية:المصرية العامة للكتاب، 1977)، ص12.

[3] -عبد المعطي محمد، **الفكر السياسي الغربي**، (د/ط، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996)، ص 173.

– كانت « فلورنسا » أعظم مدن العالم حضارة والمصدر الرئيسي لعصر النهضة، ففي القرن ثالث عشر (13م) كانت «فلورنسا » مقسمة إلى ثلاث طبقات متصارعة النبلاء، التجار، الأغنياء[1] وكان النبلاء أساسا من الغيبيلين ghibelline، والطبقتان الآخرين من الجلف »guelf ، وقد هزم الغبيليون سنة 1266 خلال القرن الرابع عشر (14م) تغلب حزب الصغار على حزب الأغنياء والتجار، ومع ذلك فإن الصراع لم يصل إلى ديمقراطية مستقرة، بل إلى نمو تدريجي لما كان اليونان يدعونه « الحكم الاستبدادي »[2]

من خلال هذا التعفن السياسي والاجتماعي والأخلاقي الذي كانت تعيشه إيطاليا أنذاك، نشأ الفيلسوف الإيطالي نيقولا مكيافيللي، محاولا إعادة بنائها على أسس وقواعد جديدة وإعادة وحدتها، فلاحظ أن إيطاليا تحتاج إلى حكومة مركزية قوية؛ وقد كان هذا ظاهر من خلال إعجابه بالجمهورية الرومانية، واعتبارها مثل أعلى، و كذا أنها أقصى ما وصل إليه الإنسان من صور الحكم، هذا ما دفع مكيافيللي إلى التفكير في تكوين دولة سياسية قوية، يحكمها أمير ناجح و يجمع إيطاليا بعد تشتتها، وقبل التطرق إلى مفهوم الطبيعة وأهميتها في البناء السياسي عند مكيافيللي، وجب علينا النظر بإمعان في ماهية الدولة وأهم النظريات التى فسرت نشأة الدولة، وكيف كانت نظرة مكيافيللي لتلك النظريات

[1]- Les matèriaux de la sience de Machiavel sontfonrms avont tout par le passè.IL convit certes de rappler que machiavel.en a qualite de haut fonctionnaire de la ville de flo reace. Un de ètats les plus avancès de l‘èpoque a pu observer d‘impeertants évènements politique aussi llien à l‘intèrieur qu al‘extèeieur de l‘itaie. Le moment ou il tombe en diagràce et tout la pèriode ou il effore d‘acquèrir une nouvelle influence commeident avec des mouvements sociaux d‘une importance non nègligeable .(Max Horkheimer, les debuts de la philosophiè lourgoise de‘histoire،boulevad sahnt germain, 197 , 17.)

[2]- جورج سباين، **تطور الفكر السياسي** ،تر: راشد ابراوي، (، د/ط،دب: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د/س)،ج3، ص 27.

المبحث الأول: في ماهية الدولة

يعد مصطلح الدولة من بين المصطلحات الأكثر أهمية في الجانب السياسي، حيث تعددت تعاريفها من الناحية الاصطلاحية، لكن قبل التطرق إلى تلك التعاريف لابد من الاشارة الى الجانب اللغوي.

أولا:في الاشتقاق اللغوي: نجد أن كلمة الدولة في اللغة العربية مشتقة من الفعل «دال »ودال زمان دولة أي دار وانقلب من حال إلى حال،ودالت له الدولة أي صارت إليه، ويقال دالت لنا الدولة أي كانت لنا الغلبة.

والدولة مصدر جمعها دول ويعني ما يتداول ويكون مرة لهذا ومرة لذاك، فتطلق على الغلبة والسيطرة بالفتح.[1]

والظهر دول لا ثبات فيه ولا قرار ويقال دالت الدولة لفلان على فلان، أي انتصر وانقلب عليه[2] وفي القرآن الكريم وردت الآية الكريمة ««أن يمسسك قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس »آل عمران الآية 140[3]

ففي اللغة العربية معنى كلمة الدولة إضراب الحال وعدم الاستقرار والاشتقاق العربي ينطلق في الحقيقة على الحكومة أكثر من الدولة. أما في اللغة اللاتينية فالمعنى المستفاد من كلمة statietats svite المرادفة لعبارةstatues فتفيد عكس المعنى المستفاد في اللغة العربية فهو يشير إلى فكرة الاستقرار وأن الوقوف واستقرار الوضع وتعني وضعية الرجل الواقف ولكن عندما تلحق هذه الفكرة صفة السياسي فتأخذ الإمارة. حيث استقرار معناها في العصور الحديثة على ما تعنيه عبارة الدولة في العربية.

ثانيا : الدولة اصطلاحا: تختلف التعريفات التي أعطاها الفلاسفة والعلماء لمصطلح الدولة سواء في الفكر العربي أوالفكر الغربي، ومن هذه التعريفات نذكر على سبيل المثال :

1-جماعة مستقلة من الأفراد بصفة مستقرة، و معينة بينهم من طبقة حاكمة وأخرى محكومة.

2-مجموعة من الأفراد مستقرة على إقليم معين، ولها من التنظيم ما يجعل للجماعة في مواجهة الأفراد سلطة عليا وظاهرة.

---

[1]- حسن مصطفى البحري، **النظم السياسية**، (دط ؛ دمشق:كلية الحقوق، دس)،ص 4.

[2]- صلاح قنصورة، **الدين والفكر والسياسة**، (دط؛ القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2002)، ص 99.

[3] -.القرأن الكريم، أل عمران، الآية 140 .

3- وحدة قانونية دائمة تتضمن وجود هيئة اجتماعية، لها حق ممارسة السلطات القانونية معينة في مواجهة أمة مستقرة على إقليم محدد، تباشر حقوق السيادة بإرادتها المنفردة عن طريق استخدام القوة المادية التي تحتكرها وحدها.

4- الدولة: هي مجتمع منظم يعيش على إقليم معين، يخضع لسيطرة هيئة حاكمة ذات سيادة ويتبع بشخصية معنوية متميزة عن المجتمعات الأخرى.

5- الدولة هي مؤسسة سياسية وقانونية، تقوم حين يقطن مجموعة من اناس بصفة دائمة في إقليم معين، يخضعون لسلطة عليا تمارس سيداتها عليهم.[1]

6_ الدولة عند أفلاطونPlaton(427 ق م-346 ق م) : ينتقل من فلسفة أخلاق الحياة الفردية إلى فلسفة أخلاق الجامعة، وليست جمهورية أفلاطون محاولة لتصوير كمال الخيالي وغير واقعي، إن هدفها تأسيس السياسة على نظرية المثل بتصوير مثال الدولة، ولهذا فإن الدولة ليست واقعية بل هي الدولة الحقيقة الوحيدة ،حقيقتها هي أساس وجود كل الدول الموجودة بالفعل.[2]

إن تأسيس الدولة على الفعل هوالنغمة الأساسية في السياسة عند أفلاطون.

7_ الدولة عند أرسطوAristote (348 ق م -322 ق م): يرى أن مدينة هي نوع من المشاركة، وكل مشاركة تتكون من أجل خير ما(لأن كل شخص يفعل كل شئ من أجل مايتمسك به على أنه خير). فمن الواضح أن كل المشاركات تهدف إلى خير ما، والمشاركات التي تضمن أكثر إلزاما تضم كل أنواع المشاركات، وهذا يسمى بمدينة المشاركة السياسية "المدينة"و(دولة المدينة)هي نوع من المشاركة، الارتباط أوالجماعة أي أنها مجموعة من الأشخاص يشتركون أويمتلكون أشياء معينة بصورة مشاعة، وأن المجتمع في تجلياته المتنوعة هو بالنسبة لأرسطو خادم "الدولة". إن التمييز الخالص بين "الدولة والمجتمع"تمييز غريب بالنسبة لطريقة التفكير عند أرسطو، إذ لايمكن للمدينة أن تتوحد مع الدولة أوصورة الدولة ولا ترتبط الخاصية الملزمة التي ينسبها أرسطوإليها "بالسيادة" القانونية، التي تكون جوهرية بالنسبة للتصور الحديث للدولة[3].

---

[1]- حسن مصطفى البحري، المرجع نفسه، الصفحة نفسها..

[2]- إمام عبد الفتاح إمام،**الاخلاق والسياسة" دراسة في فلسفة الحكم "**،(دط ؛القاهرة :المجلس الاعلى للثقافة،2002)،ص157

[3]- ليوشتراوس وجوزيف كروبسي، **تاريخ الفلسفة السياسية**، تر:محمود أحمد السيد، (دط؛القاهرة:المجلس الاعلى للثقافة، 2005)،ص 204.

نلاحظ ان كل من أفلاطون وأرسطو في موضوع الدولة يتفقان في ربطها بالفضيلة والسعادة الخاصتين بالمواطنين، إضافة إلى هذا قد ربطا كل من نشأة الدولة والسياسة بالأخلاق، حيث تنتقل من الفرد الى الجماعة ولايمكن لأي دولة أن تقوم بدون أخلاق.

الدولة عند ابن خلدون: بعد هذا ننتقل إلى العهد الاسلامي، ونجد العلامة عبد الرحمن ابن خلدون Ibn khaldoun(1322-1406) * فيلسوف التاريخ ورائد علم الاجتماع حيث تطرق ابن خلدون في الجزء المعروف بمقدمة ابن خلدون أو المقدمة لارتقاء الحضارات وانحطاطها وأصل الأسر الحاكمة وأساس الحكم، وقد كان سابق لكل من مكيافيللي Michiavelli(1469-1527) **«الأمير» مونتيسكيو Montesquieu(1689-1755) ***(روح القوانين).

فالدولة عنده يفسرها بأن حاجة الإنسان إلى الاجتماع والحكم، حيث تلعب الحاجات الإنسانية دورا بارزا في نشأة العمران وتطوره وبقاء الإنسان والجماعات البشرية ؛فيما يرى ذلك ابن خلدون أن التجمع البشري مرهون بأمرين أساسيين: أولا القوت الذي يضمن الحياة وثانيا الدفاع الذي يقي الإنسان من الأخطار الطبيعية وتحدياتها.

إن كل من الأمرين يقتضي الاجتماع البشري بين المرء وبني جنسه كذلك التعاون بين الناس من أجل الحفاظ على استمرار وبقاء هذا التجمع الانساني،ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر

*ابن خلدون هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولد في تونس في أسرة متضلعة بالثقافة الإسلامية وتلقى دروسه في شى علوم الإسلام في تونس ،ولقد أرغمه الصراع بين الحفصيين والمرنيين على مغادرة تونس وطلب الخلوة في الجزائر،وأهم مؤلفاته:كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر. راجع إبن خلدون **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي،(ط1؛القاهرة:لجنة السياق العربي،1980)،ص

ولد نيكولا مكيافيللي في مدينة فلورنسا الواقعة في وسط ايطاليا كان الابن الأكبر لبرناردو وزوجته بارتولومي، شب في عهد الامير مديشي أطلق عليه اهل فلورنسا إسم "لونز العظيم" كرم في أواخر حياته بفضل جهود أصدقائه. وأهم مؤلفاته(الأمير1532،الآحاديث 1513،جذور تفاح الجن 1518 ،خطاب حول إصلاح دولة فلورنسا 1519 ،خطاب العقد الآول لتيق ليق 1519.).راجع روس كينج، **مكيافيللي فيلسوف السلطة، تر: فايقة جرجس، (ط1؛ القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر والتوزيع، 2004)، ص ص 9-10.

***مونتيسكو كاتب أخلاقي وفيلسوف فرنسي ولد في قصر دي لابريد ،تحدر من أسرة من قضاه مدينة بوردو وعند معموديته جعل شحاد متسول عرابه،درس القانون في بوردو حيث تخرج محاميا عام 1708،من أهم مؤلفاته:روح القوانين وتأملات في الملكية الكلية. راجع جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، (ط3؛ بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2006)، ص ص 652-653.

وتم عمران العالم بهم، فلا بد لهم من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم.[1]

ويقصد ابن خلدون أن الإنسان اجتماعي بطبعه ولديه غريزة حب البقاء، وبالتالي فهو يسعي إلي كسب رزقه؛ إلا أنه يتعرض إلي مجموعة من العراقيل، وهنا يتطلب عليه الدفاع عن رزقه وتكون نتيجته في الأخير حفظ بقائه .

[1]-عبد الرحمن ابن خلدون، **المقدمة**، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي،(ط1؛القاهرة:لجنة السياق العربي،1980)،ص22.

المبحث الثاني :النظريات المفسرة لنشأة الدولة

ظهرت عدة نظريات فى تفسير نشأة الدولة، كلها تنطلق من البحث فى أصل السلطة السياسية وهي بمثابة مصدر أساسي لتكوين الأفراد من الناحية السياسية للوصول الى نتيجة محكمة تساعدهم فى تحليل الممكنات المستعملة سياسيا؛ وعلى هذا الاساس تعددت النظريات المفسرة لنشأة الدولة وهى كالآتى:

1-النظريات التى تعتبر الدولة ظاهرة قوة:

ان النظريات التى تفسر الدولة بأنها ظاهرة قوة ترتكز جميعا على فكرة أساسية؛ وهى أن السلطة السياسية تعبر قبل كل شيء على ظاهرة قوة والإكراه، وتكون دائما فى حوزة من يستطيع فرض سيطرته على الاخرين.إن جوهر الدولة يكمن فى الاكراه الذي يظهر بأشكال مختلفة، وقد شدد علم الاجتماع والأنثروبولوجيا السياسية على هذه الفكرة؛ أي على سلطة القهر والإلزام التى تقوم داخل المجتمعات، والتي تتطلب وجود سلطة قادرة على فرض النظام وإجبار الناس على طاعتها، ففي المجتمعات الليبرالية تتميز الدولة مبدئيا بوجود اكراه منظم ومحدد وموجه من أجل الحفاظ على المصلحة العامة كما يراها مؤيدوالفلسفة الليبرالية ،في حين يمكن حماية المواطن من سوء استعمال السلطة أوالتصرف باستعمال وسائل الإكراه بواسطة نصوص تشريعية تجيز له مقاومة القهر كما نصت المادة 35 من دستور فرنسا[1].

ومن النظريات التى ترتكز على عنصر القوة كأساس لتفسير ظاهرة الدولة:

أ-نشوء الدولة نتيجة صراعات الجماعات البدائية :

يرى أصحاب هذه النظرية أن نشوء الدولة يعود الى الصراعات بين الجماعات البشرية البدائية، حيث كانت تخضع لحكم التقاليد ولم يكن هناك داع لاستعمال القوة لأن شخصية الفرد كانت غارقة فى شخصية الجماعة، وفي مرحلة من مراحل تطور الشعوب تقوم جماعة بفرض قوتها على جماعة آخرى وتخضعها لسيطرتها، فتنشأ عن ذلك طبقة حاكمة وجماعة محكومة داخل إقليم جغرافي واحد ،وهنا تبرز نواة الدولة ومن ثم حسب هذه النظرية تنشأ الدولة بسبب انقسام الجماعة نتيجة التمايز بين الطبقتين.

[1]- عصام سليمان، **مدخل الى علم السياسة**، (ط2؛ بيروت :دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع، 1989)، ص187- 188.

ب-نظرية ليون ديغي Léon Duguit(1859-1928)*:

يقول ديغى أن نشوء الدولة ينتج ببروز تمايز سياسي فى المجتمع؛ فالدولة هي حدث تاريخى تسيطر بواسطته مجموعة من الناس على سائر أفراد المجتمع، وتفرض عليهم إرادتها بالقهر المادي، أي نشوء الدولة هونتيجة ظاهرة القوة، وأن السلطة هى جوهر الدولة ولا وجود للدولة بدونها، وقوتها يجب أن تكون الأعظم بحيث لا تستطيع أي قوة فى الداخل أن تنافسها وتمنعها من تحقيق إرادتها، فالدولة تبقى بطبيعتها أمينة لنشأتها الاولى ومهما كان عدد الاجهزة التى تؤدى وظائفها تبقى مرتكزة على تباين سياسي قائم على القوة، فلا يمكنها ان تتخلص من ظاهرة القوة التى هى أساس وجودها[1] .

يشير ديغي هنا إلى أن المجتمع يحكمه اختلاف في الطبقات، حيث أن الأقوى هو المسيطر في المجتمع ويقرض سلطانه على الضعيف؛ ومن ثم تنشأ الدولة نتيجة لهذه القوة وهذا الاختلاف الذي يجعل من الدولة تتصدى الى أي قوة خارجية، إلا أن ديغى لم يدرك بأن هذا الإختلاف قد يكون سبب في التمرد والعبث ونشوء صراعات أهلية وداخلية قبل أن تكون خارجية.

ج-ابن خلدون:

لقد فسر ابن خلدون نشأة الدولة تفسيرا اجتماعيا اقتصاديا، فربط نشوء المجتمع بضرورة تأمين الحاجات المعيشية، واعتبر العصبية أساسا للقدرة السياسية ولتماسك المجتمع "فالعصبية" هي صلة رحم طبيعية في البشر والتي يحصل بها الاتحاد والالتحام في المجتمع، ويظهر في القبيلة الواحدة أوفى القبائل المتحالفة نسب عام يقترن بعصبية عامة ونسب خاص يقترن بعصبيات خاصة، ولحمة النسب الخاص أقوى من لحمة النسب العام ؛ومن هنا تتنافس العصبيات الخاصة على الرئاسة فتظفر بها العصبية الاقوى أي تلك التي تتغلب على العصائب الاخرى فالدول تنشأ بسبب العصبية وتستمر طالما استمرت هذه العصبية وتضمحل عندما تفسد العصبية " [2]

*- ليون ديغي(1859-1928)كان أحد كبار رجال القانون في فرنسا وقد تسلم عمادة كلية الحقوق في جامعة بوردولفترة طويلة من الزمن.راجع عصام سليمان، **مدخل إلى علم السياسة**، مرجع سابق، ص 188.

1 – عصام سليمان،**مدخل الى علم السياسية** مرجع سابق،ص188

[2]– المرجع نفسه، ص199.

الدولة أو الجماعة السياسية عند ابن خلدون تنشأ نتيجة القوة أو التغلب القائم على العصبية المتولدة عن وحدة النسب وقوة القرابة والولاء، وتعتبر العصبية وفقا لهذا هي القوة المحركة لسير التاريخ، فعلى أساسها تقوم الدولة وبضعفها تضعف الدولة. إن الدور الذي تلعبه العصبية في الحياة الاجتماعية والسياسية هو دور حاسم، وهى تحتل في نظرية ابن خلدون حول الدولة مكان حجر الزاوية، وتحمل الأفراد على التناظر والتعاضد في المدافعة والحماية والمقاتلة ؛إنها ضرورية في كل أمر يحمل الناس عليه من نبوة أو إقامة ملك أو دعوة، وتشتمل أيضا إلى جانب العنصر المادي على عناصر معنوية تستمد من الدين والأخلاق (من شجاعة وحزم). والعصبية عند ابن خلدون ليست شكلا من أشكال التعاضد فحسب، بل هي نوع خاص من أنواع العلاقات الاجتماعية. [1]

ويحدد ابن خلدون عمر الدولة في الغالب بثلاثة أجيال، الجيل الواحد يساوي 40 سنة.

فالجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها في شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا تزال بذلك صورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون.

الجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي اليه، فتنكسر صورة العصبية بعض الشئ ويبقى لهم الكثير من ذلك، بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم وسعيهم إلى المجد فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإذا ذهب منه ما ذهب، ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول.

الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية، ويبلغ فيهم الترف غايته بما تبقى من النعيم وحضارة العيش فيصيرون عالا على الدولة، وهكذا تنشأ

الدولة برأي ابن خلدون عندما تكون العصبية قوية وقادرة على التغلب على عصيان قومها وعصيان الأقوام الآخرين[2].

يمكن ان نخلص أن أصحاب هذه النظرية ،أن القوة هي نظام اجتماعي يفرضه الغالب على المغلوب، فهي تنشأ عندما يفرض القوى سلطته على باقي الأفراد ؛لآن الحياة الإنسانية كان يعقبها نظام الجماعات الأسرية

[1]- صلاح الدين بسيونى رسلان ،**السياسة والاقتصاد عند ابن خلدون**،(دط ؛القاهرة :كتب عربية، دس)، ص ص69-75.

[2]- عصام سليمان ،**مدخل إلى علم السياسة**، مرجع سبق ذكره، ص200.

بما يحتويه من سيطرة قانون الحرب والإغارة بين مختلف الأسر، فإذا انتصرت إحدى الأسر على غيرها تضمها إليها ويفرض رئيسها سلطانه على الإقليم الذي تعيش به.

2-نظرية التطور التاريخي أو الطبيعي:

يطلق عليها مفكري العلوم الاجتماعية النظرية التطورية المفسرة لنشأة الدولة، حيث ترجع أصل نشأة الدولة إلى عوامل متعددة تفاعلت منها القوة المادية و الاقتصادية، كذلك العوامل الدينية والمعنوية والعقائدية تختلف من دولة إلى أخرى؛ لأنه قد يكون أحد هذه العوامل مهم بالنسبة لنشوء دولة معينة في حين لا تكون ذات أهمية لدولة أخرى. ويرى المتخصصين المعاصرين في هذا المجال بأن الدولة ظاهرة طبيعية، تبحث عن تفاعل عوامل عديدة ساهمت عبر مراحل تاريخية في نمو شعور لدى الأفراد والجماعات بضرورة التعايش معا في أماكن محددة في مجال الجانب الطبيعي. [1]

بحسب هذه النظرية أن الدولة ظاهرة طبيعية نتجت عن تفاعل عوامل مختلفة اقتصادية واجتماعية وعقائدية، وذلك عبر فترات طويلة من التطور التاريخي الذي أدى إلى تجمع الأفراد للتعايش معا، وتطورت الأحوال بعد ذلك بظهور فئة حاكمة لهذه الجماعة فرضت سيطرتها عليها، وقبضت على ناحية الأمور فيها مما أدى في النهاية إلى نشأة الدولة.

3-نظرية الأسرة:

بعد التطرق إلى نظرية القوة ونظرية التطور التاريخي لتفسير نشأة الدولة، نتعرض بعد ذلك إلى نظرية الأسرة.

إن هذه النظرية ترجع أصل نشأة الدولة إلى الأسرة ؛لأنها الخلية الأولى للمجتمع.ثم نمت هذه الأسرة وتناسلت وكونت مجموعة من الآسر ثم نمت أكثر وأصبحت عشيرة، ثم تطورت العشيرة إلى قبيلة ومع مرور الزمن اتحدت عدة قبائل فيما بينها واستقرت فوق بقعة معينة، وخضعت لرئيس واحد فظهرت المدينة ومن اتحاد عدة مدن تكونت المدينة. ولقد أخذ أرسطو بنظرية التطور العائلي كأصل لنشأة الدولة، إذ أقر على أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن الجماعة؛ لأن من يشعر بعدم احتياجه للآخرين من أقرانه أو يستطيع أن يعيش منعزل ليس إلا أحد فرضيين : هو إما أن يكون رجل فوق مستوى البشر أو حيوان وحشي. والإنسان وهو حيوان مدني بطبعه يصدر سلوكه من زاويا ثلاث:

1-من حيث كونه فرد أي كونه إنسان يعيش بمفرده.

[1]- مولود زايد الطيب، **علم الإجتماع السياسي**،(ط1؛ليبيا:دار الكتاب الوطنية، 2007)،ص29-130.

2-من حيث كونه عضو في أسرة؛أي إنسان يعيش داخل أسرة وجزء منها.

3-من حيث كونه مواطن في الدولة؛يعنى أنه فرد داخل مجتمع يتمتع بحقه ويقوم بواجبه. [1]

فالطبيعة في رأى أرسطو خلقت الذكر والأنثى، وخلقت في الذكر ميلا غريزا للاجتماع بالأنثى من أجل التناسل وحفظ النوع وتكوين الأسرة، وهذه الأخيرة هي الوحدة الاجتماعية من حيث التطور التاريخي، وقد تجمعت أسر مختلفة وكونت القرية ومن اجتماع عدة قرى تكونت الدولة.

وقد وجدت نظرية التطور العائلى عدد من المؤيدين الذين نادوا بها بعد أرسطو ورددوها من أمثال:

بودان: الذى رأى ان الدولة هى إتحاد عدة عائلات يخضع أفرادها لسلطة حاكم واحد.

دوجى: سلطة رب العائلة لدى أغلب الشعوب السامية كانت هى النواة الاولى لسلطة الحاكم فى الدولة.

بارتلمى: أن اجتماع الأفراد لتكوين دولة هو ظاهرة من الظواهر المعروفة فى كل مكان وزمان، وهى تعبر عن إحدى خصائص النفس البشرية وهي خاصية أوغريزة حب الاجتماع؛ فاجتماع الافراد لتكوين دولة لا يخضع لحكمة المصادفات أو لمجرد تحقيق شهوات الجماعات، وإنما هو أمر طبيعى يرجع حدوثه لأسباب أو ظروف طبيعية.

وأكد برجسون ذلك حين قال أن الانسان إذ يشعر فى أعماقه بالذاتية والأنانية الفردية، فإنه يحمل بين جنبيه الغريزة الاجتماعية التى تدفع به الى أحضان الجماع

ة احساسا غريزيا.

1- فضل الله محمد اسماعيل، **الاصول اليونانية للفكر السياسي الغربى الحديث،** (ط1 ؛كفر الدوار: بستان المعرفة 2001)،ص ص ص 9-10-11.

المبحث الثالث : مفهوم المجتمع السياسي عند مكيافيللي

كان مكيافيللى سياسيا واقعيا، على غيره من الفلاسفة الذين تناولوا السياسة من منظور فلسفي أوأخلاقى أوأدبى، لذلك كان اهتمامه الرئيسى منصب على التوعية بكيفية الوصول لسلطة والاحتفاظ بها.

لقد عاش مكيافيللى فى عصر النهضة الاوروبية بكل ما اشتملت عليه من تغير عنيف أشبه بتغيرات الظواهر الطبيعية، حيث أحاط بالإنسان جو جديد وراح يتنفس هواء جديد ويستمتع بحياة لا عهد له بها من قبل، ويتذوق شتى طعومها، وينعم بصورها وأشكالها ذلك هوعصر النهضة؛ عصر التحولات الكبرى فى بنية المجتمع الاوروبى لا سيما ايطاليا على كافة المستويات الاجتماعية والثقافية والعلمية وحتى السياسية، حيث كانت ايطاليا فى هذا العصر مقسمة الى 5 ولايات رئيسية هى البندقية، ميلانو، دولة البابوية، مملكة نابولى فلورنسا،ولقد عاصر مكيافيللى فى هذه الاخيرة مسقط رأسه تجربة الراهب "سافونا رولا (1452-1498)* المصلح الدينى الذى سن حملة عنيفة على الفساد الاخلاقى الذى عرفته الكنيسة فى عصره، وفى هذا الجو تعلم مكيافيللى مجموعة من الدروس التى من أهمها الثورة على التقاليد والأفكار القديمة التى ورثها عن الماضى، فهى ليست بالضرورة وصادقة أوموضع اجلال واحترام ذلك أن الوعظ والإرشاد لايصلاحان فى بناء الدولة وأنه لايمكن الدفاع عن الدول عن طريق الكلمات وحدها بل يعتمد فى بناء الدول عل السيف (القوة، العنف). وكانت الاستفادة الكبيرة لمكيافيللى من المناصب

الادارية التى شغلها فى مدينة فلورنسا طيلة اربعة عشر عام سكرتيرا عاما لمجلس العشرة، الذى كان يهتم بقضايا الحرب والشؤون الخارجية ويقوم بكتابة الرسائل الموجهة الى الممثليين الدبلوماسيين لجمهورية فلورنسا بالخارج، وبعد ذلك راح يتأمل السياسة بصفة عامة ومصير ايطاليا بصفة خاصة، التي تنخرها الانقسامات الداخلية والأسر الحاكمة.[1] فالدولة عند مكيافيللي هي معطى قوى ومرتبط بقوانين جيدة، ولهذا رأى أن الهدف الأول للعملية السياسية هو المحافظة على قوة الدولة والاستزادة منها بأية وسيلة حتى ولو كانت غير أخلاقية،

*سافونا رولا: هومفكر ومصلح ديني معاصر لمكيافيللي، انكب على دراسة سفر"الرؤيا" أخر أسفار العهد الجديد في الإنجيل، دخل في عرين الأسد حين واجه لونزودي ميديتشي عامل فلورنسا والحزب الكبير الموالي له. راجع نيل راغب، **أسرار المطبخ السياسي رد الإعتبار إلى مكيافيللي**، (دط؛ القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دس)، ص 25.

[1]- إمام عبد الفتاح إمام: **الاخلاق والسياسة** "**دراسة فى فلسفة الحكم**"، (دط ؛ القاهرة :المجلس الأعلى للثقافة، 2011)، ص ص250 -251

حيث كان يرى أن غاية الإنسان تبرر له ما يتخذ من وسيلة اتجاه تحقيقها وبالتالي تكون الدولة ناتجة عن طريق وسائل متعددة يستخذ مها، التي من أهمها القوة وذلك من أجل المحافظة عليها.

وما كان يشير إليه مكيافيللي في قوة الدولة الوطنية وصمودها واستمرارها، هو نوع الجيش الذي تعتمد عليه في القوة، فإذا كان الجيش المقوم للدولة لا يتشكل من أبنائها الأصليين فإنه يرى أن أساس قوة الدولة الوطنية وضعفها يرتبط بجيشا، وتأكيده على الجيش الوطني المنظم يعود أساسا إلى شعوره الحارق للوطنية وحبه للقومية الإيطالية، ورغبته في توحيدها حيث يعتبر أن واجب المرء نحو وطنه فوق جميع الواجبات في الحياة ويحزن على الوضعية التي وصلت إليها إيطاليا في عصره إلى اعتمادها على جيوش من غير أبنائها حيث قال: « إذ أن هذا الدمار الذي لحق إيطاليا والذي شهده الآن، نجم عنه شيء واحد، هو اعتمادها على سنوات طويلة على جيوش المرتزقة، ولا ريب أن هذه الجيوش قد ساعدت بعض الأفراد للوصول إلى الحكم».[1]

في هذا الصدد يتضح لنا أن مكيافيللي أطلق على بلاده اسم الدولة الوطنية، وذهب إلى كيفية المحافظة عليها وذلك بتدريب جيش قوي شرط أن يكون من نفس الوطن لأنه يحمل روح القومية الوطنية؛ لأنه عاش تجربة الدفاع عن بلد من طرف جيش ليست بلاده، ولهذا كانت تنقصه الحميمية الوطنية.

لم يبحث مكيافيللي في أصل الدولة وطبيعتها كما كانت تسلكه الدراسات السياسية السابقة واللاحقة، بينما ما أكد عليه اعتباره أن الحياة الاجتماعية والسياسية المثلى في الدولة هي مكان تحمى الذات لكل من الفرد والمجتمع على سوا، وإن التناقض الظاهر بينهما أي بن الفرد والمجتمع مرده إلى طبيعة التعرض بين متطلبات الإنسان وضرورة الحفاظ على الكيان الاجتماعي، والمجتمع لا يقوم ولا يستمر إلا بسيادة نظامه وحمايته من طغيان أفراد المصلحة العامة على مصالحهم، فالإنسان ليس إنسان إلا في مجتمع يفرض على نفسه وعلى أفراده صيغة تنظيم توفق بين حقوق وواجبات كل منهما، وإن الحفاظ على هذه الثنائية المزدوجة بين الفرد والمجتمع لا يمكن أن تقوم به إلا الدولة التي هي غاية للمجتمع فهي لا تنشأ إلا من ضعف الفرد وعدم اكتماله، فالفرد وحده عاجز عن حماية نفسه من اعتداء الآخرين[2].

---

[1]- مكيافيللي، **الأمير**، تر: خليل حنا تدرس، (دط؛ دب: كتب عربية، دس)، ص 118.

[2]اسماعيل زروخي، **دراسات في الفلسفة السياسية**، (ط1، القاهرة، دار الفجرللنشر والتوزيع، 2001.)، ص 182.

ولابد له من مساعدة ولذلك ينظر مكيافيللي إلى الدولة على أنها كيان قائم بذاته. ويعرفها « هي اجتماع جماعة من الناس إما بمحض رغباتها أو تنفيذ الاقتراح يصدر عن إنسان بسلطة كبرى في صفوفها بالعيش معا في مكان واحد تختاره وتجد فيه الراحة والعيش وسهولة الدفاع عن أنفسهم[1].

اعتبر مكيافيللي أن الحياة الاجتماعية تشمل كل من الفرد والمجتمع وتحافظ عليهما الدولة، وإنما يؤدى إلى التناقض والتنافس في المجتمع هو حب سيطرة الإنسان لتحقيق أغراضه، إلا أن الدولة لا تكون دولة إلا بسيادة نظامها والدولة عنده ليس طبيعة وإنما تكونت بعد الوجود الإنساني لضرورة الحياة المشتركة التي تفرض تعاون في تحقيق متطلبات الحياة من غذاء وأمن واستقرار، لأن إذا بقي الإنسان على حالته الطبيعية البدائية فإن حياته في خطر حتى على النوع الإنساني ذاته، وإما أنه تكونت ونشأة من قهر الناس من أجل السيطرة وإخضاع بعضه لبعض، وبعد هذا التكوين للدولة أو الجماعة السياسية تنشأ القوانين التي تنظم الحياة و تحدد السلوك المشترك ، وبذلك ينتقل الإنسان من حالة البداوة إلى حالة الحضارة يصبح جميع سكان الدولة مسخرون من أجل خدمة المصلحة العليا للبلاد التي هي هدف الدولة[2].

و ينظر مكيافيللي إلى الدولة على أنها من المسائل الموجودة واقعياً و فعلياً، و ما يجب عمله لها هو المحافظة عليها من أجل استمرارها وقوتها، وهذه الأخيرة هي القوة و القياس الذي تقاس به الدولة ، ومن ثمّ إذ لوحظ أي خلل على الدولة القائمة ينبغي إ صلاحها، باستعادة قوتها، اذ أن هناك غاية واحدة ووحيدة نسعى جميعا لتحقيقها هي ازدهار الدولة وعظمتها، وهي غاية تتجاوز ما هو خير وما هو شر ، فالمعيار الوحيد الذي نقيس عليه أعمالنا هو نتائج الفعل فان كانت مفيدة كان الفعل صائب، وان كانت عكس ذلك كان الفعل خاطئ و أن أي عمل أو فعل نقوم به هو فقط من أجل تقوية الوطن، وتقوية الدولة المحافظة على هذا الوطن، وكل الوسائل المستخدمة من أجل ذلك الهدف المشروع ، ومن ثم فان تأمين الخلاص للوطن، مهدد والنقطة الأساسية التي يجب أن تتغلب على كل النقاط الأخرى، ومن العوامل التي يراها مكيافيللي تقوي الروح الوطنية لدى المواطنين كما لدى الدولة، هي بناء جيش قوي قومي يتكون من أفراد[3] الشعب لا من

[1]–ميكيافيلي ، **مطارحات مكيافيللي**، تر: خيري حماد، ط1؛ بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1962، ص 211 .

[2]-إسماعيل زروخي، المرجع السابق، ص184.

[3]-إسماعيل زروخي، نفس المرجع، ص 184-183.

المرتزقة، يكون شجاعا معتزا لذاته وبانتمائه للوطن وللدولة قادر عن الدفاع عنهما كلما اقتدت الضرورة ذلك، من دون أن ينتظر مقابلا، لأن ما يقوم به هو مبدأ وطني لا تبلغ قيمته أية مكافئة يمكن أن تعطى لهذا العمل، وبذلك أراد مكيافيللي أن يفصل الدولة وقوتها على المجتمع والفرد وهو مستعد للتضحية بهما من أجل توطيد أركانها، فبدون الجيش القوي والسياسة الحكيمة لا يمكن أن نحافظ على كيان الدولة، وبناءا على كل ما سبق فانه لتوحيد ايطاليا في دولة واحدة وتحت راية واحدة وسلطة واحدة ينبغي في رأي مكيافيللي أن تشترك مجموعة من العوامل والعناصر متمثلة أساسا في التاريخ واللغة والجغرافيا والذاكرة.[1]

[1] اسماعيل زروخي، المرجع السابق، ص 183-184

الفصل الثاني

الطبيعة البشرية و أهميتها في البناء السياسي

1- مفهوم الطبيعة البشرية
2- مشروعية القوة في مقابل الطبيعة البشرية
3- هدف الأمير السياسي

المبحث الأول:مفهوم الطبيعة البشرية

إن أفكار مكيافيللي تستند في الكثير منها على التشاؤم، هي رؤية ارتبطت بعدم الاستقرار وحالة انعدام الأمن، وهي رؤية ارتبطت بعدم الاستقرار، وانعدام الأمن، والعنف الذي عرفته بلاده، وهذا مادفع مكيافيللي إلى الإهتمام البالغ بالطبيعة البشرية، حيث تناولها بكل طموحها وجشعها، وسعيها إلى امتلاك القوة والمال وحب السيطرة والجبروت.

وقبل التطرق إلى رأي مكيافيللي في الطبيعة البشرية نحدد مفهوم الطبيعة أولا وهي"مايتميز به الإنسان من صفات فطرية، وهي ضد الصفات المكتسبة."[1]و ثانيا الإنسانية وهي"جملة الصفات التي تميز الإنسان أو جملة أفراد النوع البشري التي صدقت عليها الصفات."[2]

يعتقد مكيافيللي أن البشر هم هكذا بطبيعتهم في كل زمان ومكان، وهذا شيء يستحيل تغييره أو إصلاحه، حيث أنهم منافقون وجشعون، وكذلك أنانيون وشرسون للحصول على المصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة.

ويعتبر أن جميع البشر هم طغاة، والفرق بين الإنسان العادي والطاغية؛ هي أن الثاني لديه الوسائل بينما الأول لايملكها كي يصبح طاغية، ولكنهما متماثلان في الطبيعة، إضافة الى ذلك يرى مكيافيللى أن الفضائل غير موجودة وفقط، فهي الضرورة التى تقود الإنسان ما لا يكون جيدا في بعض الأحيان، وهو أن يكون ذلك بشكل عفوي، وإذا اقتنع بعكس ذلك سيكون هذا وهما خالصا ولا يتردد في وصف الإنسان بأنه حيوان، أسد أوثعلب وفق الظروف.[3]

من خلال هذا نلاحظ، أن الناس ما يميزهم هو حب الذات، ويسعون دائما لتحقيق مصالحهم الخاصة حتى ولو كان ذلك على حساب المصلحة العامة، فعند ما يحدث أي خلال من هذا النوع، فلا بد للرجل الدولة، الحفاظ على النظام الاجتماعي ، وحسب رأي مكيافيللي انه لا يوجد، في المجتمع سوى القوة والأنانية

[1]- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**،(دط؛ لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1982)،ج2، ص 13.
[2]- إبراهيم مذكور، **المعجم الفلسفي**،(دط؛ القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983)، ص 25.
[3]- صلاح علي نيوف، **مدخل الى الفكر السياسي الغربي**، (دط ؛دنمارك :كلية القانون والعلوم السياسية ،دس)،ج1،ص ص63 -64.

والمصالح، وليس هناك قيم للعدالة والأخلاق. وهنا ويجب على رجل الدولة الحفاظ على التوازن بهدف وضع حدود لتبادل المصالح، وكل فكرة تهدف لإقامة «العدالة»تركها مكيافيللى أوفي أحسن الأحوال تجاهلها.[1]

ويقول مكيافيللي في هذا: «فالشهوات هي عين الشهوات، والعواطف هي نفس العواطف، من طموح وحسد وشك وطلب للثأر ورغبة في السيطرة وما يتبعها من رفض شديد لها، وسخط يحمله الذين لا يملكون عندما يرون الآخرين يملكون الكثير، وهولاء يميلون بالطبع إلى خلق الاضطراب، إلا إذا ضبطوا ضبطا محكما.»[2]

إن ما كتبه مكيافلللي في السياسة، كان يفترض بأن الطبيعة البشرية اتصفت بالثبات وعدم التغير، فهي مطبوعة بالتردد ونكران الجميل، ويظهر هذا جليا في رغبة الأفراد بتوفير الأمن و الضرورات المعيشية لهم، ورغبة الحكام بالحكم وزيادة سلطتهم ونفوذهم، فالرغبات البشرية بالتملك الغير محدود تتجه بالإنسان دائما نحو زيادة ما يملكه والاحتفاظ به.

وبما أن الحاجات الإنسانية ليست لها حدود بالنسبة لقوة الممتلكات، فإن الناس يبقون دائما في حالة نزاع وتنافس، وإنتشار الفوضى إذ لم تكبح جماحها القوة الكامنة وراء القانون، وهكذا فإن الحكم يجب أن يبنى على حقيقة أساسية؛ وهي أن الأمن لا يكون في حيز الإمكان إلا إذا كان الحاكم قويا. ومن القضايا التي يسلم بها مكيافيللي؛ إعتباره أن الناس بوجه عام سيئين، وأن الحاكم العاقل و الناجح يجب أن يقيم سياساته على أساس هذا الافتراض،[3] وبين ذلك بقوله: «إن الناس بصورة عامة ناكرون للجميل و متقلبون و ميالون لتجنب الأخطار وشديدو الطمع، وهم إلى جانبك طالما أنك تفيدهم، فيبدلون دماءهم وحياتهم وأطفالهم طالما أن حاجتك لهم بعيدة، ولكن إذا ما دنت منهم يثورون. ولهذا على الأمير أن يمتنع عن سلب الناس ممتلكاتهم؛ لأنه من السهل على الإنسان أن ينسى وفاة والده، على أن ينسى ضياع ارثه و ممتلكاته.»[4]

وهذه الصورة السيئة التي يراها مكيافيللي في الطبيعة البشرية، يجب أن تشكل برأيه الأساس التي يبنى عليها الحاكم حكمه وقوته؛ وأن تقوم دائما على افتراض أن الناس سيئين، وأن الفوضى وشيكة الوقوع لا يمنعها إلا قوة الحاكم الواقفة بالمرصاد لكل عدوان، أو تعرض لأمن الأفراد . فمكيافيللي إذا يرى أن سلطة

---

[1]- صلاح علي نيوف، **مدخل الى الفكر السياسي الغربي**، المرجع السابق،ص 66.
[2]- مكيافيللي ، **مطارحات مكيافيللى**، تر:خيرى حماد،(ط1؛ بيروت:دار الافاق الجديدة،1962)،ص 155.
[3]- مهدي محفوظ، **اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث**' (ط3؛بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع،2007)،ص 24
[4]- مكيافيللي، **الأمير**، المرجع السابق، ص 85.

الحاكم، يجب أن ترتكز على ضرورة إنقاد المجتمع من الفوضى، وأن أي ضعف في الحكم يؤدي بالتالي إلى بدء الشعور بعدم الاطمئنان، وبروز بواعث العدوان على الآخرين للتسلط وزيادة الممتلكات. هذه الافتراضات الأساسية عن الطبيعة البشرية التي يجب معرفتها و حفظها من قبل كل حاكم، ويجب أن تكتمل عند الحاكم الناجح بالاهتمام والعمل لتوفير الأمن للملكية و الأرواح قبل كل شيء، لأنها أشمل الرغبات عند الإنسان ذلك لأنه من شدة حرص الإنسان.[1]

فمن خلال هذه الأفكار عن حب الذات والشر كدافع بشري عام في الطبيعة البشرية، قد كانت محور أو نقطة اهتمام مكيافيللي؛ وهذا بسبب انتشار تلك الصفات في المجتمع الإيطالي، كظاهرة من ظواهر الانحلال الاجتماعي الناتج عن ضعف الحكام.

يقول مكيافيللي عن فساد الطبيعة البشرية من كتابه المطارحات « من أثر العواطف الأخرى كالحسد، و الغضب و الكراهية و الخوف، وعلى الرغم من أنها خصال مدمومة، إلا أنها دائما وأبدا جزءا من الطبيعة الإنسانية. »

ويقول كذلك: « من السهل إفساد الناس، والسبب في هذا الفساد هو السيطرة التي تملكها عواطف الإنسان على تفكيره.»[2]

فمن خلال هذين القولين لمكيافيللي يتضح لنا، أن فساد الطبيعة البشرية يكون مصدرها العواطف الإنسانية؛ التي هي جزء من هذا الإنسان و اعتماده عليها، وإلغاء عقله الذي هو المحكم المنطقي في كل تصرفاته و أفعاله.

وبمأن مكيافيللي من أوائل المنظرين السياسيين بالعصر الجديد فقد حاول في مؤلفاته البرهنة على أن البواعث المحركة لنشاط هي الأنانية والمصالح، فالفردية والمصلحة عنده هما أساس الطبيعة البشرية.[3]

ومن هنا يتضح مكيافيللي قد أعطى صورة للطبيعة البشرية بوصفها أنها أنانية وطغيان المصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة.

---

[1]- مهدي محفوظ، المرجع السابق، ص 25.

[2]- مكيافيللي، **مطارحات مكيافيللي**، المصدر السابق، ص 155.

[3]- غازي الصوراني، **مفهوم المجتمع المدني وأزمة المجتمع العربي**، (ط1؛ غزة: مركز دراسات الغد العربي، 2002)، ص31.

المبحث الثاني:مشروعية القوة السياسية في مقابل الطبيعة البشري

لقد كان مكيافيللي مثله مثل الفلاسفة الاخرين فى تحليله للسلطة وإمكانية الوصول إليها، وذلك من خلال طريقة بعيدة عن الاخلاق والدين؛ إلا أنها من وجهة نظر مكيافيللي وسيلة مشروعة للاستعانة بها فى الحكم، وهى طريقة القوة وما تشمله من صفات تساعد الامير في الحصول على السلطة أوفي القدرة على التسلط والقضاء على تمرد الرعية.

لقد أكد مكيافيللى ان للقوة فضل فى حصول البشر على مكانة مرموقة فى المجتمع، حيث كان ارتقائهم من مكانة مهمشة المستوى الى مكانة عالية، اضافة الى هذا يوجد من البشر من يحصل عليها عن طريق المنح والوراثة ؛ إلا أن القوة لم تكن كافية لوحدها ذلك ان هناك شواهد عدة تقدم الدليل على أن الحيلة وحدها كافية لتحقيق مناصب أورتب عالية وراقية فى المجتمع، وكان دليله بإعطاء أمثلة بكل من فيليب المقدونى وأغاثوكليس الصقلى وغيرهم من الذين هم على هذه الشاكلة، حيث جميعهم ارتقوا من اوضاع مغرقة فى الانخفاض اومنخفضة قليلا الى مرتبة الملك او مرتبة السلطان العظيم، كما ان للخديعة دور فى الحصول على السلطة حيث أن اكزونوفون يلفت النظر فى تاريخ حياة كروش* الذى عجزت قوته عن اخضاع مملكة ارمينيا، مما جعله يضطر الى اتباع أساليب الخداع مع ملكها وبالتالى حقق غايته بعد الكثير من الحيل وألوان الخديعة، وبناء على هذا فإن الامير الذي يرغب فى ركوب مراكب العظمة ان يتعلم ممارسة الخديعة ،ذلك أن كورش ماكان ليصل الى ماوصل اليه من عظمة دون مثل هذه الوسائل التى تنطوى على التدليس والغش، حيث لايمكن العثور على رجل كان وضيعا فى مستهل عهده ثم تمكن من الحصول على سلطان واسع عن طريق استخدام القوة المكشوفة، بينما يمكن العثور على الذين حققوا مثل هذا الانتقال عن طريق الحيلة وحدها؛ أي بطريق القوة المتسترة [1].

*كروش ويلقب بالأكبر مات عام 528 ق م هومؤسس امبراطورية فارس ثار على الماديين الذى زوجه ابنته واستولى على عرشه ثم شرع فى حروبه التى أخضع فيها أسيا ومابين النهريين وسوريا وفلسطين وهوالذى أعاد العبرانيين من منفاهم فى بابل الى القدس.

[1]- نيقولامكيافيللى،**مطارحات مكيافيللى**، مصدر سبق ذكره، ص ص481 -482.

إن على المحتل عند احتلاله لدولة من الدول ان يتخذ التدابير اللازمة لارتكاب فظائعه فورا ومرة واحدة وأن لايعود إليها من يوم الى آخر، وهكذا يتمكن عن طريق عدم القيام بمبدلات جديدة من خلق الطمأنينة عند شعبه واكتسابه الى جانبه بواسطة المشاريع النافعة له، اما الذى ينهج نهجا مغايرا إما بسبب الجبن أو المشورة الفاسدة فإنه يضطر الى الوقوف دائما وسيفه فى يده، إذ لايستطيع مطلقا الاعتماد على رعاياه لأنهم بسبب تكرر الاساءات مرة واحدة وبصورة جماعية وهذا يفقدها ميزة انتشار التأثير، وبالتالي لاتترك أثرا سيئا كبيرا أما المنافع فيجب ان تمنح قطرة فقطرة، حتى يشعر الشعب بمذاقها ويلتذ بها. وفوق كل هذا على الامير أن يعيش مع رعاياه بطريقة لاتحول فيها الطوالع الحسنة أو السيئة عن متابعة سيره، فالحاجة التى تنشأ فى الاوقات الصعبة تحتم عليك أن تكون متأهبا لمواجهتها، والخير الذى تعمله قد لايفيد فى مثل هذه الاوقات؛ لأن الرأى يسود بأن الحاجة قد فرضته عليك وهنا لن يكون فى وسعك أن تستخلص منه أي فائدة مهما كانت .[1]

وهنا يقصد على من يريد الوصول الى السلطة وتملكها لابد أن تكون له أنواع مختلفة من الحيل والخديعة إلا أن عليه استعمالها دفعة واحدة حتى لاتكشف، وأن يكون حذرا ويستعمل المراوغة ليتمكن من الوصول الى قلوب الرعية باستخدام الطريق المناسب لذلك، حتى لايكشف وبعدها يكون عاجز عن كسب ثقتهم ولهذا لابد أن يستخدم أسلوب النذالة حتى يتمكن من الحصول على الرتبة المرموقة، إلا أنه لايخفى جانبه الحسن الذى يكون بكمية ضئيلة ليتمتع به الرعية عكس الطريقة الاخرى –الخديعة والحيلة–التى تقدم الرعية كاملة حتى لا يشعرون بها ويقل غضب الناس وهو لاعتقادهم أنه مجبر على ذلك.

ويذهب فى كتابه الامير الذى يبين للأمير كيف يكون ثعلبا ليميز الفخاخ وأسدا لترهبه الذئاب "حيث أن الانسان الذى يحمل الصفات الطيبة لا وجود له في الحياة، إذ أن كل مسؤول سواء كان رئيسا أو أمير لم يهتم أبدا بوعوده التى وعد بها شعبه وقد استطاع بالمكر والحيلة الرخيصة أن يضحك على عقول شعبه ويحقق مايريده[2]. هناك طريقتين للقتال اولى بواسطة القانون والأخرى عن طريق القوة ويلجأ البشر الى

1-عدنان السيد حسن، **تطور الفكر السياسي**،(ط1، بيروت: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002)،ص281.

[2] - so it is necessary for a prince to know how to make use of both natures and that one without the other is not durable. Aprince therefore ، to adopt the beast. Ought to classe the fase and the lion، because the lion connot defend himself against wolves.(by Nicol machiavell، th prince tranlatat by w.k. marriott، 83-84)

الطريقة الاولى، أما الحيوانات فتلجأ الى السبيل الثانى ولكن لما كانت الطريقة الاولى غير كافية لتحقيق الهدف فإن الانسان قد يلجأ الى الطريقة الثانية ومن الضرورى للأمير أن يعرف استخدام الطريقتين معا ؛ أي طريقة الانسان وطريقة الحيوان ولهذا على الامير أن يتعلم طريقة عمل الحيوان وأن يقلد الاسد والثعلب معا،اذ ان الاسد لايستطيع حماية نفسه من الشراكة والثعلب لايتمكن من الدفاع عن نفسه أمام الذئاب ولذا يتحتم عليه أن يكون ثعلبا ليميز الفخاخ وأسد ليرهب الذئاب وعلى الحاكم الذكي المتبصر أن يحافظ على وعوده عند مايرى إن هذه المحافظة تؤدى الى الإضرار بمصالحه وأن الاسباب التى دفعته الى إعطاء هذا الوعد لم تعدد قائمة، ولن يعدم الامير الذى يرغب فى إظهار مبررات متلونة للتنكر لوعوده ذريعة مشروعة لتحقيق هذه الغايات، ولذا من يتقن فن الخداع يجد دائما من يقعون فى حبائله ويصدقون أكاذيبه. ان التاريخ يقدم خير شاهد على ذلك، حيث كان البابا الكسندر السادس نموذجا هائلا للرجل المخادع طول فترة حكمه، كان يجد الفرصة للنجاح فى خداعه ولم يكن ثمة من يفوقه مهارة فى تقديم الوعود، ويدعم ذلك بالإيمان المغلط فى الوقت الذى لم يكن هناك من هوأقل تمسكا بها، ومع ذلك فقد نجح دائما فى خداعه إذ أنه كان يتقن هذه الطريقة فى معالجة الامور فى تثبيت نفسه على كرسى البابوية"[1].

نجد هنا ان مكيافيللى يدعو الحاكم أوالمسؤول أومن يريد تولى السلطة، أن يتصف بصفات الحيوان والمزاوجة بين صفة الاسد ليخيف الذئاب أي الحيلة وصفة الثعلب ليتجنب السقوط فى المكائد التى قد يسقط فيها الاسد وهى الخديعة، حيث أن الحاكم الناجح هوالذى يلجأ الى الاساليب الانسانية والحيوانية حسب الظروف والحاجة، ويعرف كيف يجمع بينهما حيث أن الناس تخاف من الاقوياء وتزدرى من الضعفاء ،ومن هنا على الامير أن يحدد غايته التى لا يمكن أن يحققها إلا بوسيلة الخديعة وكذلك الحيلة والتي تعد من بين صفات القوة.

ويضرب مكيافيللى مثال أخر من عصره على الأمراء الذين تحصلوا على الإمارة بالحيلة والخديعة وهو ليفروتو الذي أصبح أمير فيرمو بالوحشية والخديعة، حيث كان يتيما فى فيرمو فكفله خاله واسمه فوليانى ثم أرسله ليتعلم الجندية، وبعد ذلك رتب ليقوم بانقلاب فى فيرمو موطنه الاصلى، حيث قام بالقضاء على الاعيان في فيرمو بعد أن استدرجهم من مأدبة التى قام بها خاله حيث حاصر القصر واستولى على الحكم[2].

[1] -- مكيافيللي، **الأمير**، تر: حنا تدرس، المرجع السابق، ص ص ص 175-176-177.
[2] -- لويس عوض، **ثورة الفكر في عصر النهضة الأوروبية**،(ط1؛القاهرة:مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1987)،ص87.

من خلال ما سبق نجد مكيافيللي يبيح للأمير استخدام جميع الوسائل سواء كانت حسنة أوسيئة من أجل الحفاظ على سلطته والاستمرار فيها، إضافة إلى هذا كذلك متابعة الرعية وتصرفاتهم من خلال إظهار بعض المحاسن ، وكان له في ذلك إعطاء يعض النماذج للحكام الذين استطاعوا أن يصل للحكم بشتى الطرق، وكذلك بقائهم فيه والتسلط والتحكم في الرعية من خلال التكتيكات السياسية التي يمارسها أثناء الحكم، كذلك في فترة الصراعات الداخلية منها والخارجية.

المبحث الثالث:هدف الأمير السياسي

لقد كان اهتمام مكيافيللى الكبير مركز نحوالامير، حيث قدم له مجموعة من النصائح والعبر في كيفية التغلغل في السياسة بطريقة محكمة، والتى تجعله يتربع ويسيطر على السلطة؛ إلا أن هذا الامر لا يتحقق مالم يقوم الامير بتحديد الهدف المراد الوصول إليه من خلال هذه السياسة.

لقد طرحت في السياسة مسألة الوسائل، حيث انه لا جدوى من السعى الى هدف سياسي بطرائق مقضى عليها بالفشل، فالاعتقاد بأن الغاية خيرة فيجب أن تختار الوسائل الملائمة لتحقيقها، ومسألة الوسائل يمكن تناولها بطريقة علمية خالصة بغض النظر عن حسن الغايات أوأسوئها، فالنجاح يعنى تحقيق غرضك أي كان ذلك الغرض، فإذا كان ثمة علم للنجاح فيمكن أن يدرس فى نجاحات الاشرار كما يدرس فى نجاحات الاخيار على حد سوا.

إن المسألة فى النهاية هى مسألة السلطة فلتحقيق غاية سياسية فمن الضرورى أن تكون هنالك سلطة من هذا النوع أوذاك؛ هذه الحقيقة الواضحة تخفيها شعارات من قبيل "سينتصر الحق" فإذا انتصر الجانب الذى تظنه حقا فهذا يعني وجود سلطة أعلى، صحيح أن السلطة تعتمد فى معظم الاحيان على الرأى والدعاية، و أن الامير بفضل الدعاية يبدو أكثر فضيلة من خصمه، لهذا قد يحدث أحيانا أن يذهب النصر الى الجانب الذى لديه أكبر قدر مما يعتبره على الجمهور العام فضيلة[1] .

نجد مكيافيللى هنا يضع للامير أهداف سياسية في شكل نصائح من خلال ما تتطلبه الرعية، لهذا فالأمير يتوجب عليه الظهور عكس الحقيقة ويكون مؤمنا وإنسانيا صادق ومتدينا وفى نفس الوقت تكون شرط من شروط نجاحه؛ وهنا يتجنب كل وسائل الكراهية والاحتقار وهذا بسبب تحديد هدفه السياسي، حتى وإن كان غير مطابق لحقيقته الانسانية إلا أنه يتميزبالفضيلة ويخدم الشعب.

ولهذا عاد مكيافيللى للحاكم ووضع له مجموعة من النصائح وعلى الامير اتبعها ومن اهمها : أن يأخذ بالمكر والدهاء حينا وبالشد والبطش حينا أخر تبعا للظروف التى يواجهها، ولقد اقترح مكيافيللى نظريته القائلة بنفى وجود أخلاقية واحدة ومناداته بوجود أخلاقيتين :الاخلاق السياسية والاخلاق الشخصية، فما يعد فى الاخلاق الشخصية غير جائز إطلاقا كالعنف والكذب ونكث العهود...الخ يصبح على صعيد الاخلاق

1- برتراند راسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، مرجع سبق ذكره ، ص ص32-33 .

السياسية مسموحا به بل واجب لبلوغ الهدف[1]. وبالتالى عندما لا يحدث أي وهم فيما يتعلق بالطبيعة الانسانية فإن رجل الدولة سيستطيع الحفاظ على الحد الادنى من النظام الاجتماعى، وبما أنه لايوجد حد فى المجتمع سوى القوة، المصالح، الانانية وليس هناك قيم للعدالة والأخلاق تسمح بإبقاء القيم فى حالة تناغم مع المصالح، فإن المشكلة التى على رجل الدولة حلها هى الحفاظ وبشكل مصطنع على التوازن بهدف وضع حدود لتبادل المصالح.

ان المعيار القاطع فى السياسة ليس أن تكون جيدا أوشريرا، وليس أيضا أن تكون ضعيفا أوقويا ولكن سعيدا أوكئيبا فى هذه السياسة ؛فليس المهم مايفعله رجل الدولة فى مراحل اتخاذ القرار بل المهم هو نتيجة القرار، وعلى هذا يفضل بالنسبة للحاكم أن تخافه الناس لا أن تحبه، ذلك أنه شئ مثالى أن يكون محبوبا، ولكن من الواجب الاختيار بين الوسيلتين؛ الافضلية يجب أن تعطى الى الخوف، وهنا يبرر ويعود الى الطبيعة العميقة للإنسان، بمعنى أخر على الامير الواعى أوالمستيقظ أن يوجد وفق مايريده هو وليس على مايريد الاخرون، ومن هنا تأتى أفضلية الخوف كأداة فى السلطة[2].

اضافة الى هذا ينبغى على الامير أن لا تكون له غاية أوفكرة سوى الحرب ونظامها وطرق تنظيمها، وأن لا يتخذ لدراسة موضوعا أخر سواها فهذا هوالفن الوحيد اللازم لمن يتولى القيادة؛ فهو فن له من المزايا ما يكفى للمحافظة على هؤلاء الذين ولدوا أمراء والإبقاء عليهم في مناصبهم، كما أنه يساعد الرجال العاديين على بلوغ مرتبة الامارة.ومن ناحية أخرى يمكننا أن نرى أن الأمراء يفقدون ولاياتهم عند مايفكرون فى مظاهر الترف أكثر من تفكيرهم فى الاسلحة، والسبب الاول لضياع الولايات هوإهمال هذا الفن، ذلك أن الإمارات تكتسب عن طريق إجادة هذا الفن [3] .

وقد أعطى مثال عن ذلك ب"فرانسشكوسفورتا "الذى توصل بحسن تسلحه أن أصبح دوق ميلانو، وقد كان فيما قبل فرد عادى وقد انحدر أبناؤه الى أن أصبحوا أشخاص عاديين بعد أن كانوا أمراء، وذلك لإبعادهم عن متاعب الحروب ومشتقاتها، لأن من بين عيوب عدم التسلح الجيد هوأن الفرد يصبح بلا قيمة وهذا أمر لابد على الأمير ان يتجنبه؛فشتان مابين رجل مسلح ورجل أعزل ومهما كان الأمر فلن نرى رجل

[1]- فضل الله محمداسماعيل، **الاصول اليونانية للفكر السياسي الغربى الحديث**، (ط1 ؛ كفرالدوار :بستان المعرفة، 2001)، ص92

[2]- صلاح على نيوف،**الفكر السياسى الغربى**، المرجع السابق،ص ص64 -65 .

[3]- جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية**، تر: ناجي الدراوشة، (ط1؛ سوريا: دار التكوين لتأليف والترجمة والنشر، 2010)،ص 354 .

مسلح يطيع رجل أعزل وهو بكامل إرادته، حيث لا يمكن رؤية أعزل سالم بين أتباعه المسلحين، فمن المستحيل أن يعمل الاثنان معا فى سلام لأن أحدهما محتقر والأخر كثير الشك.ومن ثم فمن المستحيل ان يحترم الجنود أميرهم الذى يجهل الشؤون الحربية أو يكونوا محل ثقتهم، ولذلك لابد للأمير ألا ينسى التدريب العسكرى فهو يتدرب فى وقت السلم أكثر مما يفعل فى وقت الحرب، وهذا يكون بطريقتين إحدهما عملية والأخرى نظرية؛ فمن الناحية العملية يجب عليه بجانب تنظيمه لقواته وتدريبه لهم أن يشغل نفسه بالصيد باستمرار وهذا أمر يعود جسده على المشقة والتعب، كما أنه يجعله يدرس طبيعة البلاد فى نفس الوقت (منحدرات، الجبال...الخ)، وهذا مايجعل الانسان يعرف كل شئ يتعلق ببلاده وطبيعة أقاليمها، والأمير الذى لايملك هذه الصفات يفتقد أول ضروريات القائد، أما من الناحية النظرية فعلى الامير أن يقرأ تاريخه ويدرس أعمال عظام الرجال ليرى كيف كانوا يتصرفون في الحروب، ويدرس أسباب انتصاراتهم ومسببات هزائمهم حتى يستطيع أن يسير على درب المظفرين ويتحاشى ان يلقى هزيمة مثل هزائم المقهورين منهم. ولهذا على الامير أن ينهج هذا النهج ولايخلد فى زمن السلم الى الكسب أبدا، وأن يصر على الاستفادة من هذه الطريقة بمهارة قدر الامكان ؛وحتى أنه يستطيع ان يكون مستعد لضربات القدر حين تتغير الاحوال وان تكون له السيادة وقت الشدائد[1] .

يمكن القول أن مكيافيللى قد وصف الأمير المثالى من خلال أن يكون شغل الامير الشاغل هو التفكير فى الحرب لاغير، ودراسة الحرب على أنها الفن الوحيد الذي يحتاج اليه كمن يتولى القيادة وضرورة ممارستها خلال أيام السلم ولاندماج فى سلك الجيوش. كذلك ضرورة المعرفة وكسب صداقة الامراء والملوك والشعب لأنهم الأساس في تكوين الإمارة والمخرج الحقيقى فى الحرب والصراعات القائمة.

إن غاية الأمير القوة والأمن في الداخل وبسط السلطة في الخارج فإذا أراد صيانة سلطانه وجب عليه عدم التقييد بالفضيلة و استخدام الخير والشر تبعا للحاجة ، أما الذي يريد أن يسير سيرة فاضلة في كل ظرف فعليه أن يحي حياة خاصة ولا يعرض للحكم وإلا هلك حتما وسط كثرة الاشرار وليس الامير مشرعا ولكنه حربي والحرب صناعته الاولى.[2]

[1]- ميكافيللى، **الأمير**، تر: أكرم مؤمن، (دط؛ القاهرة: إبن سينا للطباعة والنشر والتوزيع، 2004)، ص79 .
[2]- يوسف كرم، **تاريخ الفلسفة الحديثة**، (ط5؛ القاهرة: دار المعارف، 1119)، 25 .

من خلال هدا نجد أن مكيافيللي قد أضاف هدف أخر للأمير، وهو فرض ذاته على غيره وبسط سلطانه؛ شرط أن تكون الحرب شغله الشاغل وفكرته الأولى، وعدم التقيد بالأخلاق وان يستخدمها حسب الحاجة، وإلا سيكون فريسة لأعدائه ومن هنا تكون نهايته وسقوطه.

" من المهم جدا لسعادة العالم ضبطها ضمن حدود دقيقة فمن المؤكد أن على الملك أن يسعى لتحقيق كل ما يرمى لتأمين رخاء المجتمع الذي يحكمه ، شرط ألا يحصل ذلك على حساب الشعوب الاخرى ، فالأمم كما للأفراد حقوق متبادلة ."[1]

نستخلص أن للملك بعد تحقيق أهدافه السياسية غرض أخر، وهو تحقيق المصلحة العامة للأفراد دون أن يكون ذلك على حساب الدول الأخرى، حيث أن لهذه الأخيرة حقوق مثلها مثل الأفراد.

[3]- ميشيل سينيلار،**المكيافيلية وداعي المصلحة العليا**، تر: أسامة الحاج، (ط2؛ لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،2002)،ص 146.

الفصل الثالث

المكيافيللية و ولوج التيار العلماني بالمفهوم الحديث

1- علاقة السياسة بالأخلاق
2- علاقة السياسة بالدين
3- تأثير الفكر السياسي المكيافيللي على العصر الحديث

المبحث الأول: علاقة السياسة بالأخلاق

لقد اهتم مكيافيللي بالجانب السياسي اهتمام كبير، حيث حاول تطبيق هذا المجال على مجموعة من الميادين المختلفة، التي تعد من أبرز القضايا المعتمدة في السياسة وكان للأخلاق جزء من الدراسة في هذه الاخيرة فجاء مكيافيللي ليوضح هذه العلاقة القائمة بينهما.

لقد عالج مكيافيللي هذه العلاقة وحاول أن يفصل بين الاخلاق والسياسة فصلا تاما، فعالج كل منهما كقضية قائمة بذاتها، وغايته من هذا الأمر أنه كان يرى أن الغرض السياسي هوالحفاظ على القوة السياسية الحقة، سواء كانت سياسة ظالمة قاسية أو غادرة أو غير جائزة شرعا.

ولتحقيق غاية سياسية معينة يبيح مكيافيللي استعمال كل الوسائل اللأخلاقية حتى القتل والكذب، إذ أن استعمال الوسائل اللأخلاقية في سبيل الحفاظ على الحكم وتقوية سلطته أمر مباح، ولكن في حال استعمال تلك الأساليب على الحاكم أن يقوم بذلك بذكاء ودهاء وبسرية تامة حتى يبقي سيطرته على المجتمع وردود الفعل فيه، ولقد تمثل رأي مكيافيللي هذا في مقولته "الغاية تبرر الوسيلة".

أصر مكيافيللي على أن يجرد السياسة ويفصلها عن الاعتبارات الاخلاقية ويمدح الحكام الذين لايتقيدون بقيم الأخلاق، وذلك لغاية أساسية وهي الحفاظ على مراكزهم وتحقيق القوة لسلطتهم ولدولتهم [1].

وكذا للدولة شبه ميل طبيعي إلى الضخامة ولا وجود للأخلاق ولا القانون الدولي، بل هناك قانون الغاب وكل شئ يصح أخذه، ذلك كانت الاهمية البالغة في التنظيم العسكري لأي دولة والخدمة العسكرية وتكوين جيش وطني قوي[2].

لقد سبق القول أن السياسة عند مكيافيللي تقوم على أساس مبدأ شهير هو"الغاية تبرر الوسيلة"، وهذه الغاية هي أساس مصلحة الوطن ذلك لأن هذا الأخير هو المركز الذي تدور حوله الأخلاق المكيافيللية، وهوالحدود التي يضعها مكيافيللي لهذه الأخلاق ومن هنا فإن المرء الذي يعمل من أجل غاية ليس لها أي صلة بالوطن فهوشخص "لاأخلاق له"،وأن للمواطن العادي نفس الواجبات التي تفرض على رجل الدولة وعلى الحاكم، ولا قيمة مطلقا للمصالح الذاتية والأغراض الخاصة أوالحقوق الفردية أوالأمور العادية والشؤون العاطفية وذلك بالنسبة لمستلزمات الدولة وضروراتها؛ويجب أن لايحسب أي حساب للأخلاق الجارية

[1]- مهدي محفوظ، المرجع السابق ،ص 27 .
[2]- نور الدين حاروش،**تاريخ الفكر السياسي**،(دط؛ الجزائر: دار الامة للطباعة والنشر والتوزيع،2010)،ص283 .

عندما يتعرض الوطن للخطر سواء كانت هذه الأخطار آتية من الخارج كأطماع الدولة المجاورة، أوأخطار آتية من الداخل كالفساد والاضطرابات التي تتعرض لها الدولة.

إن انقاد حياة الوطن والمحافظة على حريته واستقلاله وضمان أمن الدولة هي الغاية الاولى التى تتضاءل أمامها غاية أخرى ويختفي معها الفرد ومصالحه الذاتية، ذلك أن الفرد ومصالحه الشخصية ينبغي أن تكون مدمجة في الدولة، في جين أن مكيافيللي لم يعترف بأي قانون أخلاقي في مسائل السياسية لأن السياسة عنده هولعبة يسمح فيها بكل أنواع الحيل، وتتغير قواعد اللعبة على أيدي اللاعبين أنفسهم، حتى توافق أهوائهم [1].

لقد سيطرت فكرة "الغاية " أوالهدف على جميع نظريات مكيافيللي السياسية، حيث قام بإلغاء الجانب الأخلاقي ودوره الفعال في تحسين سلوك الحكام والملوك ونجاح حكمهم.

ولقد أشارعلى ذلك من خلال الأتي:«الحكام يحاولون مهما كان طرازهم، حماية أنفسهم في المراكز التى يحتلونها، ويحاول المتآمرون والراغبون في إقامة الممالك في كب السلطات القائمة، أما الشعوب فلا تطلب إلا السعادة والحرية ولا تنشد في حالة تعرضها للاضطهاد إلا الثأر من مضطهديها، ويبحث الشبان عن المركز والشهرة، فالذين لايملكون المراكز أوالممتلكات يرغبون في امتلاكها، بينما يتوق الذين في أيديهم المراكز والممتلكات إلى الحفاظ عليها، وتختلف هذه الغايات كلها ولكن يمكن تحقيقها في جميع الحالات من دراسة التاريخ، وذلك لأن هذه الأهداف كانت موجودة عند الآخرين، وقد استخدموا هذه الوسائل أوتلك في شتى الظروف والأوقات للحصول عليها استخداما ناجحا أوغير ناجح.»[2]

نلاحظ هنا أن طريقة حكم الملوك أوالحكام عند مكيافيللي تظهر من خلال استخدام وسائل مختلفة لغايات متنوعة؛ بسبب القدرة على السيطرة والتملك وحب البقاء والاستمرار في الاضطهاد، ويحاول مكيافيللي في ذلك تبرير موقفه أن غياب الأخلاق يكون سبب رئيسي في بقاء الحكم والملك لأن ذلك يعد أمر مهم بالنسبة للحاكم.

1- امام عبد الفتاح امام،**الاخلاق والسياسة (دراسة في فلسفة الحكم)**،(دط ؛القاهرة:المجلس الاعلى للثقافة،2011)،ص ص258-259.

2- نيقولا مكيافيللي،**مطارحات مكيافيللي**، مرجع سبق ذكره، ص ص 141-142.

لقد رأى مكيافيللي أن الغرض من السياسة هوالمحافظة على قوة الدولة، ومقياس نجاح السياسة عنده هو مدى القوة التى وصلت إليها، فكتب عن الوسائل التى تحقق قوة الدولة وتمكنها من توسيع نفودها من الخارج وعن الأخطاء التى تؤدى إلى انهيارها واضمحلالها، فقد فضل استعمال الحاكم لكل الوسائل حتى تلك المنافية للأخلاق لتحقيق أغراضه في الحكم، معتبرا أن الوسائل غير ذات أهمية قياسا على ماتحققه من الغرض المطلوب منها، وما يمتدح الحكام الذين لايتقيدون بالقيم الأخلاقية في سبيل توطيد مراكزهم وتحقيق قوة دولهم[1].

إن المعيار القاطع في السياسة ليس أن تكون جيدا أوشريرا وليس أيضا أن تكون ضعيفا أوقوياولكن سعيدا أوكئيبا في هذه السياسة، وهنا يؤكد مكيافيللي على أن الغاية تبرر الوسيلة، وليس المهم مايفعله رجل الدولة في مراحل إتخاد القرار.ومن هنا فإن أفكار مكيافيللي تتمركز ضمن هذا المنطق أوالنظام [2].

فقد دعى مكيافيللي في السياسة الى النفاق والشح والقسوة والإرهاب والغدر وعدم الإخلاص، وإهدار الصداقة والأمانة والدين مما ينافى المثل الفاضلة وتشمئز منه الأخلاق والإنسانية، وكل

ذلك طالما أنه يرضى الرغبة في التسلط والشهوة الملحة في السيطرة على الحكم فهي لاتتنافى مع الخلق والمثل العليا ومن ثم يحصل على مكانة رئيس الدولة من اتصف بهذه الصفات[3].

من خلال هذا كله نستخلص أن غرض مكيافيللي من فصل السياسة عن الأخلاق هو كيفية التوصل إلي السلطة الحقة وكيفية التحكم فيها، ولهذا دعى إلى ضرورة التخلي عن الصفات الحميدة للحفاظ على قوة الدولة فقد دعى إلى ممارسة جميع الوسائل الغير أخلاقية، كذلك ضرورة التحلي بالصفات السيئة؛ حتى لايكون هناك تمرد وطغيان في السياسة ذلك أن هذه الأخيرة لها معيار واحد هو الحفاظ على قوة وهيبة الدولة.

ولقد حاول مكيافيللي أن يتغاضى عن أهمية الأخلاق في السياسة، وتجاوز دورها في الحياة العملية ، لكن المعروف أن لها دور فعال في بناء المجتمعات في كل المجالات، خاصة المجال السياسي؛ لأن بدون

---

[1]- عصام سليمان، **مدخل الى علم السياسة**مرجع سبق ذكره، ص ص42-43.

[2]- صلاح علي نيوف، **مدخل الى الفكر السياسي الغربي**، (دط؛دنمارك : الأكاديمية العربية، دس)،ج1،ص 64.

[3]- جاستون بوتول، **تاريخ علم الإجتماع** ، تر:غنيم عبدون، مراجعة جلال حسن صادق، (دط؛ مصر:الدار القومية للطباعة والنشر، دس)،ص 31.

أخلاق قد يحصل دمار للمجتمعات وتكون سبب في انهيار العلاقات، وهذا يحصد التوحش الإنساني وذلك بسبب غياب الرادع الأخلاقي داخل المجتمعات.

المبحث الثاني:علاقة السياسة بالدين

لقد قام مكيافيللي من خلال علاقة الدين بالسياسة بالفصل بينهما دون الاهتمام بالدور الفعال الذي يلعبه الدين داخل السياسة، إضافة الى هذا الآثار الإيجابية التى لم يهتم بها بالدرجة الأولى في ميدان الدولة.

كان للوضع السياسي والاجتماعي الفاسد والمتردي في إيطاليا تأثيرا مهما على أفكار مكيافيللي، فالتشتت والانقسام ضمن المجتمع الايطالي الى دويلات صغيرة متناحرة، دفع مكيافيللي للبحث عن المسؤول عن هذا الوضع فوجد ان البابا والكنيسة المسيحية هما المسؤولان عن تعاسة المجتمع الايطالي ؛فالبابا بدلا من أن يبقى حاكما بين المسيحيين في أوروبا بأكملها جعل من نفسه حاكما يسعي للسلطة والنفوذ مثله مثل أي حاكم زمني أخر، وهذا ما أبقى على تردي الأوضاع وعرقل تحقيق الوحدة القومية الايطالية التى كان مكيافيللي يحلم بها، إن هذه النقمة التي يوجهها مكيافيللي للبابا وللكنيسة المسيحية تعود برأيه لدور المسيحية في إحتقار الفضائل العسكرية والشرق، بدلا من التمسك بها كالأديان الأخرى فالمسيحية برأيه وهي ترسم السلوك والأخلاق المسيحية لاتعبر الاعن الذل والخضوع[1].

إن فصل الدين عن الدولة في نظر مكيافيللي لايعني كراهيته للديانة المسيحية، لكنه عارضها معارضة شديدة لأن الدين حسبه يعلم فضائل مغلوطة؛ فهي أي المسيحية تعلم الخضوع والذل وإنكار الجسد تم تأجيل أصل الإنسان في الفرح والسعادة إلى ما بعد الموت، ومن جهة أخرى يرى أن الدين هو وسيلة في يد الحاكم يسلطها على رؤوس المحكومين، ولهذا إعتبر من ألذ أعداء البابوية التى كانت تتهمه بالإلحاد والخروج عن تعاليمها، وأما أهمية الدين بالنسبة للحاكم حسبه فتكمن في سهولة قيادة الشعب كما أنه يعمل على تقوية وحدته وزيادة تماسكها[2].

نرى أن مكيافيللي قام بوضع الدين في خانة الإتهام، حيث حاول أن يوضح بأنه المسؤول الوحيد في ضياع الحكم؛ من خلال الفضائل التي يقوم بنشرها حسب تعاليم المسيحية.

---

[1]- محمود سعيد عمران وأخرون، **النظم السياسية عبر العصور**، (ط1؛ بيروت: دار النهضة العربية، 1999)، ص 316.

[2]- رأفت الشيخ، **تفسير مسار التاريخ نظرية في فلسفة التاريخ**، (ط1؛ القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 2000)، ص99 .

وبعد ذلك أخد مكيافيللي يوجه نقد للدين المسيحي لأنه عجز عن إيجاد مواطنيين طيبين، ذلك أنه حول أكثر ما يجب تحويله من العناية الى السماء وأضعف الناس، إذ أخد يدعوهم الى الفضائل السوية وفي ذلك يقول :إن الدين المسيحي يدعونا الى الاستحقاق بحب الدنيا ويجعلنا أكثر رقة ولينا، أما القدماء فكانوا عكس هذا العالم كانوا يجدون أعظم أسباب بهجتهم في هذا العالم الارضي كقواد الجيوش ومؤسسي الجمهوريات، على حين أن ديننا نحن قد مجد الوادعين الذين يقضون زمانهم في التأمل والتفكير، بدل أن يمجد رجال العمل وقد جعل هذا الدين أعلى درجات الخير والذلة وضعف العزيمة واحتكار الأمور الدنيوية، أما الدين القديم فكان يجعل أعلى درجات الخير عظم العقل وقوة الجسم وكل مايبعث في الناس الإقدام والجرأة، ومن أجل هذا خر العالم صريعا أمام الأشرار، فقد وجد هؤلاء الناس أكثر استعداد للخضوع الى الضربات طمعا منهم في دخول الجنة بدل أن يردوا عليها بمثلها.

ولو أن الدين المسيحي قد احتفظ به حسب القواعد التى وضعها له مؤسسه لكانت الدول والبلاد المسيحية أقوى اتحادا وأكثر سعادة مما هى عليه الآن.[1] ومن هنا رأى بعض الباحثين أن مكيافيللى كان يقف موقف الناقد للدين المسيحي في صميمه وينعته بأنه دين الضعفاء، ويحمل المسيحية مسؤولية انهيار الرومان أمام قبائل البرابرة الذي يعيشون في عنفوان البداوة الوثنية والرخاوة التى أصابت الاوروبين، وبعض الأخر يرى أن مكيافيللى لايقف موقف الناقد من المسيحية نفسها،وإنما ينقد المفسرين الذين شرحوها للعالم المسيحية على أنها دين الضعف والزهد وإنكار الحياة، وما هؤلاء المفسرون إلا القديسون والباباوات والكهنة وآباء الكنيسة بوجه عام[2].

وهنا بظهر غرض مكيافيللى من فصله للدين عن السياسة، وذلك لفهم مسار الدين وتطبيقه على الواقع تطبيق صحيح وليس تابع للمفسرين الذين فسروا المسيحية بطريقة خاطئة.

وهناك عناصر أخرى غير القوانين الخيرة يمكنها ان تساهم في حفظ تلك العادات الصالحة للفضيلة المدنية التى تعمل كحائل بين فساد المواطنيين، فالممارسات والمؤسسات الدينية على نحو خاص، يمكنها أن تولد شعورا باحترام الأعراف الخاصة بالفضيلة المدنية التى تساعد على حفظ الالتزام بالصالح العام قي ذلك

[1]- مكيافيللي، **الأمير**، تر:خليل حنا تادرس، مصدر سبق ذكره، ص ص 69-70.
[2]- لويس عوض، **ثورة الفكر فى عصر النهضة الاوروبية**،(ط1؛ القاهرة: مركز الاهرام للترجمة والنشر،1987)،ص103.

يقول مكيافيللي:« طالما أن مراعاة الشرائع السماوية يعد سبب في عظمة الجمهوريات فإن عدم الإكثرات بها يسفر عن خرابها» [1].

ويقول في المطارحات: "لهذا يتوجب على حكام أية جمهورية أن يحافظوا على المبادئ الأساسية للديانة التي تصون لهم وجودهم."[2]

إن مغزى مكيافيللي من هذا القول، أن ليس كل ماهو خير فهو بالضرورة يخدم الدولة ، فهو يعود مرة ثانية ويمدح الدين والمؤسسات الدينية؛ لمافيها من دور فعال في بناء العلاقات العامة وعظمة الدولة. ومن هنا يمكن القول أن مكيافيللى لم يفصل الدين عن السياسة فصلا تاما، وإنما كان معارض لتعاليم الكنيسة والقواعد المسيحية التي فسروها بطريقة غير صحيحة، فحاول من خلال ذلك فصل هذه القواعد فصلا نهائيا.

[1]- ستيفن ديلو ،**التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدنى**، تر: ربيع وهبة، (دط؛ القاهرة: منتدى مكتبة الاسكندرية، 2000)، ص 164.

[2]- مكيافيللي، **مطارحات مكيافيللي**، مرجع سبق ذكره، ص 266 .

المبحث الثالث: تأثير الفكر السياسي المكيافيللي على العصر الحديث

لقد أدت أفكار مكيافيللي السياسية، إلى وقوع ضجة في أوساط أغلب الدول الأوربية، فكانت أغلب نظرياته واقعية، أي قابلة للتجسيد. فقد استفاد منها الكثير من السياسيين، ومن بينهم، نابليون، وهتلر، ففلسفته السياسية تعتبر كغاية في حد ذاتها، إضافة إلى هذا أصحاب نظرية العقد الاجتماعي التي ظهرت في أواخر القرن السادس عشر (16م)، وقد حققت تغيير بالعلاقات المدنية مكان العلاقات الطبيعية، واستخدمها أصحاب هذه النظرية، وذلك من أجل التخلص من قيود النظرية الدينية كما كان عند مكيافيللي، فمن بين زعماء هذه النظرية نجد ، (هوبز*، جون لوك، جان جاك روسو*) وسوف نتطرق إلى أفكاره كالآتي :

ظهرت نظرية العقد الاجتماعي بوضوح، واستخدمت لمعارضة الأمراء والملوك بالحكم المطلق والاستبداد برعاياهم، في أواخر القرن السادس عشر (16م)، وقد نجحت نظرية العقد الاجتماعي في وضع العلاقات المدنية مكان العلاقات الطبيعية، كما احتلت المكانة الأولى في تفكير الفلاسفة و المفكرين السياسيين، خلال القرن السابع عشر(17م)، وجزء كبير من القرن الثامن عشر(18م)، فقد كان البديل الوحيد لمبادئ الحق الإلهي هي نظرية العقد، نظرا لما احتوته من مقترحات بشأن تحكم السلطات التحكمية و الاستبدادية للملوك ، واستخدم الفلاسفة والمفكرون نظرية العقد، عندما حاولوا القضاء على قيود النظرية الدينية، إذ مكنهم من تقديم أساس إنساني دنيوي ، يقبل المناقشة والنقد، وكان لهذه النظرية تأثير كبير وبصفة خاصة في إنجلترا وفرنسا، وهي أساس الثورات التي حققت الديمقراطية الحديثة و الحرية الفردية . [1]

ومن هذا كله ناخد « جون لوك» نموذجا :

* توماس هوبز هوفيلسوف إنجليزي،سافر إلى فرنسا واستقر فيها ، كان يفك في التقرب من أقوياء العصر الذي عاش فيه، من بين مؤلفاته: عناصر الحق والقانون ، الطبيعة البشرية والجسم السياس يراجع توماس هوبز، **اللفيثان الأصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة**، تر: دينا حرب وبشرى صعب، (ط1 الإمارات: هيئة أبوظبي للثقافة والثراث، 2011)، ص 144.

*جون جاك روسو هو فيلسوف فرنسي وقف لوحده يحارب المادية ويكافح الإلحاد الذي جاء به عصر التنوير. راجع ول ديورانت، **قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي**، تر: فتح الله محمد المشعشع، (ط3؛ بيروت: مكتبة المعارف، 1988)،ص321

[1]- فضل الله محمد سعيد، **رواد الفكر السياسي الغربي الحديث**، (دط؛ الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 2008)، ص 11 .

لقد تأثر لوك في نظرياته السياسية بأفكاره التجربية التي بنى عليه فلسفته، فقد آمن بالحواس كمصدر وحيد للمعرفة، ولذلك كان يرفض رفضا مطلقا للأفكار الفطرية، ومنها جاء رفضه في السياسة لما يعرف بالحق الإلهي للملوك. [1]

نلاحظ أن لوك كان تجريبي ، ولهذا كان معارض لكل الأفكار النظرية، حيث اعتبر أن هذا الحق هو حق نطري، يحتاج إلى برهان وحجج محسوسة لهذه المعتقدات النظرية .

جون لوك (1636-1704)*

لقد كانت وجهة نظر لوك في المجتمع المدني بخصوص التسامح الديني، إذ يرى أن الناس يتمسكون بمعتقداتهما الدينية بيقين بالغ، فهم بذلك ينظرو إلى الآخرين نظرة انتقاد وعدم احترام، فذهب لوك في هذا الصدد للبحث عن كيفية حماية الحقوق، لتشمل الجميع مهما اختلفت ديانتهم.

أوجد لوك الحل، في كتابه « رسالة في التسامح » حين دفع بأن الدولة عليها أن تحفظ المصالح المدنية، من قبيل الحياة و الحرية والصحة ... الخ، وبالمثل تصون حيازة أو امتلاك الأشياء من قبل المال و الأراضي، والمنازل والأثاث وما شابه، فسلطة الدولة لا تتجاوز هذه الأمور أو الأشياء التلا لا تتعلق بالمعتقد، الديني ، فهذا ليس من خصائصها، فالدولة لا يمكنها استخدام سلطتها في الدفاع، عن معتقدات دينية، والحقيقة لا يمكن استغلال سلطة الدولة لترويج مسألة خلاص الأنفس. [2]

فمن هذه الرؤية، تعتبر الكنيسة منظمة خاصة، يمكنها أن تقر مذاهبها الخاصة دون تدخل الدولة، بالإضافة إلى ذلك يمكن لهذه المؤسسات أن تعلن إيمانها بما يمثل المذاهب الدينية السليمة،فهي لا تستغل فرصة الدين من أجل سلب حقوق الأفراد.

وأضاف كذلك عن العلاقة بين الكنيسة و الدولة، حيث أنكر لوك أن للسلطة الدينية آية حقوق سياسية، أو آية قوة سياسية تمارسها . فقد نظر إلى الدولة كهيئة مهمتها الأولى؛ هي المحافظة على القيم الروحية،

---

[1]- إسماعيل زروخي، **دراسات في الفلسفة السياسة**، مرجع سبق ذكره، ص 202 .

*جون لوك فيلسوف الثورة الأنجليزية التي قامت في 1688، أهم مؤلفاته: مقالات حول التفاهم الإنساني، أفكار حولاتعليم أسباب المسيحية. راجع عبد القادر التومي ، **أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث**، (ط1؛ الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011)،ص 111.

فالكنيسة هيئة نشأت اختيارا وليس لها قوة أو تأثير سياسي، بالرغم من هذا نادى بالتسامح الديني . ونادى للدولة أن تفرض الرقابة على الأفكار.[1]

نلاحظ أن جون لوك قد وضع حد لهذه المشكلة، بحيث أنها مؤسسة مهماتها خاصة بها فلا يجوز لها أن تتدخل في مهام غيرها ؛ أي استقلال المؤسسات عن بعضها البعض.

[1]-محمد فتح الله الخطيب، **مبادئ العلوم السياسية تطور الفكر السياسي**، (ط2؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 1998)، ص 129.

خاتمة

خاتمة

من خلال ما تم تحليله في هذه الدراسة، وبعد الإلمام بمجمل الأ فكار حول الطبيعة البشرية والأهمية البالغة لها في المجال السياسي عند مكيافيللي خلال العصر الحديث؛ توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي حاولنا بقدر الإمكان الحصول عليها وفق المباحث الفلسفية التي إتبعنها.

1- تنطلق هذه الدراسة من خلال تحديد بعض المفاهيم الأكثر أهمية في الجانب السياسي،المتمثلة في مفهوم الدولة ؛ الذي هو عبارة عن مجتمع سياسي عند مكيافيللي حيث أن هذا الأخير هو أول من أعطها هذا المفهوم في العصر الحديث.

2- بعد دراسة مؤلفات مكيافيللي والتي من أهمها الأمير؛ تبين أن إهتمامه الكبير كان منصب حول الحاكم، حيث قدم له مجموعة من النصائح بهدف الحفاظ على حكومته والقدرة على السيطرة ، ومن الملاحظ أن اغلب حكام الدول الغربية تساير هذه النصائح، ولقد أعطى نمودجا للحكومة الناجحة والحاكم الناجح وذلك حسب رأيه.

3- الميزة الأساسية في الطبيعة البشرية؛ أنها تتصف بالأنانية وحب اللذات والسعي إلى المصلحة الفردية على حساب المصلحة العامة.

4- أن الحروب الأهلية داخل الدولة؛ هي السبب الرئيسي الذي يؤدي إلى تشتتها وفقدان مكانتها العالمية بين الدول وهذا بسبب إنعدام التفاهم والحوار.

5- أن الحاكم المستبد هو الذي يعيد توحيد الدولة بفكره وقوته والقدرة على السيطرة، التي تكون سبب في إعادة هيبته داخل المجتمع وبين الرعية؛ من خلال تمسكه بوسائل القوة وأساليب الدهاء والمكر وحسن إستخدامها، و القوة هي النقطة الأساسية التي تعتمد عليها الممارسة السياسية.

6- لقد تعرضت سياسة مكيافيللي للعديد من الانتقادات، إلا أنها ظلت هي السياسة الرائدة في العالم المعاصر، وذلك من خلال تأثيراته السياسية في أفكار الفلاسفة المعاصرين أمثال نيتشه.

7- النزعة الفردية كان ينادي بها مكيافيللي، جعلت الفكر السياسي في تلك الحقبة محور اهتمامه الفرد، وقيمته في الحياة أي انه محور السلوك الإنساني.

8- إن مكيافيللي لم يضع الأخلاق والدين في مرتبة أقل من منطق الدولة، وإنما أكد على إستقلاليتها عن قواعد الأخلاق والدين، وأنه إذا حدث خلاف أو تباين إنما هو إختلاف وجهة نظر، ذلك أن رجل الأخلاق

يعتبر أن قواعد الأخلاق في مرتبة عليا لا تعلوعليها قواعد أخر، ورجل الدين لايقبل ان تنافس قواعده أي قواعد أخرى.

10- على الرغم من الانتقادات التي وجهت إليه، وخاصة في جانبه لممارسة السياسية، يتضح لنا من خلال بحثنا هذا أن مقولته المشهورة "الغاية تبرر الوسيلة" كانت ولاتزال إلى يومنا هذا بمثابة شعار الدول القوية والتي تحاول فرض سيطرتها وهيبتها على المستوى المحلي والدولي .

11-أساليب مكيافيللي في الممارسة السياسية كانت غير أخلاقية إلا أن الأوضاع التي كان يعيش فيها دفعت به إلى ذلك ، لكن الغاية التي كان ينشدها غاية أخلاقية ، وكان يهدف إلى إعادة الوحدة الإيطالية ، وتجنب الصراعات والصدامات السياسية مما جعلته شعلة من شعل الفكر السياسي الغربي الحديث.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ-المصادر

باللغة العربية

1 – القرأن الكريم

2 – نيقولا مكيافيللي، الأمير، تر:أكرم مؤمن، دط؛ القاهرة: مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، 2004 .

3 – _____ ، الأمير، تر: خليل حنا تدرس، دط؛ دب: كتب عربية ،دس .

4 – _____ ، مطارحات مكيافيللي، تر: خيري حماد، ط1؛ بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1962 .

باللغة الأجنبية

1-by Nicol Machiavelli Marriott.. Translotat by w, The prince,

ب- المراجع

-باللغة الأجنبية:

Max Horkheimer, les debuts de la philosophiè lourgoise de'histoire،(boulevad sahnt germain, 197 ,)

2-باللغة العربية

1-إبراهيم مصطفى إبراهيم، الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، دط؛ الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2000.

2-إسماعيل الخطيب، دراسات في الفلسفة السياسية، ط1؛ القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيغ، 2001.

3-اسماعيل زروخي، **دراسات في الفلسفة السياسية**، (ط1، القاهرة، دار الفجرللنشر والتوزيع، 2001.)

4- إمام عبد الفتاح إمام، الأخلاق والسياسة "دراسة في فلسفة الحكم"، دط؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2002.

5 – برتراندراسل، تاريخ الفلسفة الغربية، تر: محمد فتحي الشنطي، ط3؛ الإسكندرية: المصرية العامة للكتاب، 1977.

6- توماس هوبز، اللفياثان الأصول الطبيعية والسياسة لسلطة الدولة، تر: دينا حرب وبشرى صعب، ط1؛ الإمارات: هيئة أبوظبي للثقافة والثراث، 2011

7- جاستون بوتول، تاريخ علم الإجتماع ، تر: غنيم عبدون، مراجعة: حسن صادق، دط؛ مصر: الدار القومية للطباعة والنشر، دس.

8-جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الأنوار، تر: ناجي الدراوشة، ط1؛ سوريا: دار التكوين لتأليف والترجمة والنشر، ج2، 2010.

9- ـــــــ ، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، تر: ناجي الدراوشة، ط1؛ سوريا: دار التكوين لتأليف والترجمة والنشر، ج1، 2010.

10- ـــــــ ، تاريخ الأفكار السياسية الإشتراكية واليبرالية والقومية والسلفية، تر: ناجي الدراوشة، ط1؛ سوريا: دار التكوين لتأليف والترجمة والنشر،ج3، 2010.

11- جورج سباين، تطور الفكر السياسي، تر: راشد ابراوي، دط؛ دب: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د/س.

12- حسن مصطفي البحري، النظم السياسية، دط؛ دمشق: كلية الحقوق، دس.

13- رأفت الشيخ، تفسير مسار التاريخ نظرية في فلسفة التاريخ، ط1؛ القاهرة: عين الدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، 2000.

14-روس كينج، مكيافيللي فيلسوف السلطة، تر: فايقة جرجس، ط1؛ القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر والتوزيع، 2004 .

15- ستيفن ديلو، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، تر: ربيع وهبة، دط؛ القاهرة: منتدى مكتبة الإسكندرية، 2000.

16- صلاح الدين بسيوني رسلان، السياسة والاقتصاد عند إبن خلدون، دط؛ القاهرة: كتب عربية، دس.

17- صلاح قنصورة، الدين والفكر والسياسة، دط؛ القاهرة: مكتبة دار الكلمة، 2002 .

18- صلاح علي نيوف، مدخل الى الفكر السياسي الغربي، دط؛ دنمارك: كلية القانون والعلوم السياسية، ج1، دس.

19- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد الوافي، ط1؛ القاهرة: لجنة السياق العربي، 1980.

20-عبد الرحمان بدوي ، فلسفة العصور الوسطى، ط3؛ لبنان: دار القلم، 1979.

21- عبد القادرتومي ، أعلام الفلسفة الغربية في العصر الحديث، ط1؛ الجزائر: كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، 2011 .

22- عدنان السيد حسن، تطور الفكر السياسي، ط1؛ بيروت: مجد الؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.

23- عصام سليمان، مدخل إلي علم السياسة، ط2؛ بيروت: دار النضال للطباعة والنشر والتوزيع،1989.

24-عبد المعطي محمد، الفكر السياسي الغربي، دط؛ الإسكندرية :دار المعرفة الجامعية ، ج3، 1996.

25- فضل الله محمد إسماعيل، الأصول اليونانية للفكر السياسي الغربي الحديث، ط1؛ كفر الدوار: بستان المعرفة ،2001.

26- فضل الله محمد سعيد، رواد الفكر السياسي الغربي الحديث، دط؛ الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة، 2008 .

27-غازي الصوراني، مفهوم المجتمع المدني وأزمة المجتمع العربي، ظ1؛ غزة: مركز دراسات الغد العربي، 2002.

28- لويس عوض، ثورة الفكر في عصر النهضة الوروبي، ط1؛ القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، 1987.

29- ليوشتراوس وجوزيف كرويسي، تاريخ الفلسفة السياسية، تر: محمود أحمد السيد، دط؛ القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ج1، 2007.

30- محمد فتح الله الخطيب، مبادئ العلوم السياسية تطور الفكر السياسي، ط2؛ القاهرة: دار الفكر العربي، 1998.

31- محمود سعيد عمران وأخرون، النظم السياسية عبر العصور، ط1؛ بيروت: دار النهضة العربية، 1999.

32- مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط3؛ بيروت: مجدالمؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2007.

33- مولود زايد الطيب، علم الإجتماع السياسي، ط1؛ ليبيا: دار الكتاب الوطنية، 2007.

34- ميشيل سينيلار، المكيافيللية وداعي المصلحة العليا، تر: أسامة الحاج، ط2؛ لبنان: مجد المؤسسة العليا الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2002.

35- نور الدين حاروش، تاريخ الفكر السياسي، دط؛ الجزائر: دار الأمة، 2010.

36- نيل راغب، أسرار المطبخ السياسي رد الإعتبار إلى مكيافيللي، دط؛ القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دس .

37 – ول ديورانت، قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، تر: فتح الله محمد المشعشع، ط3؛ بيروت: مكتبة المعارف، 1988.

38- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، ط5؛ القاهرة: دار المعارف، 1119.

39- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، ط3؛ القاهرة: دار المعارف، دس.

المعاجم والموسوعات

1-إبراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، دط؛ القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983.

2--جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دط؛ لبنان: دار الكتاب اللبناني، ج2، 1982.

3- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، ط3؛ بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2006 .

4- موريس فرادوار، موسوعة مشاهير العالم أعلام الفكر السياسي، ط2؛ بيروت: دار الصداقة العربية، ج5، 2002.

ملخص الدراسة باللغة العربية

يتمحور بحثنا حول مفهوم الطبيعة البشرية وأهميتها في التوظيف السياسي عند ميكيافليي ، هذا الأخير الذي يعتبر من أهم رواد عصر النهضة ، فمن خلال خبرته السياسية وبحكم الأوضاع السياسية التي مرت بها بلاده في القرن الخامس عشر، لاحظ أن للطبيعة البشرية أهمية في التوظيف السياسي، حيث أن هذه الطبيعة البشرية كانت آنذاك تتميز بمجموعة من الخصائص السلبية للأخلاقية من بينها الأنانية نكران الجميل الخديعة وغيرها... من هنا لابد للأمير أن يأخذها بعين الاعتبار، فكانت نظرته لها سلبية تشاؤمية من اجل هذا لابد للأمير أن يكون متحليا بصفتين الحذر والقوة وان يغض النظر على الأخلاق والدين من اجل تحقيق أغراضه السياسية، ومن اجل فهم هذا فقد تبننا المنهج التاريخي المقارن من اجل تحقيق أهداف البحث .

الكلمات المفتاحية: الطبيعة البشرية، التوظيف السياسي، ميكيافليي، الأمير، عصر النهضة، الأخلاق، السياسة، الدين.

Le résumé de l'étude

Centré notre recherche sur le concept de la nature humaine et son importance dans le recrutement politique au Makiavlje, ce dernier qui est l'un des pionniers les plus importants de la Renaissance, il est à travers l'expérience politique et en vertu de la situation politique que connaît le pays au XVe siècle, a noté que l'importance de la nature humaine dans le recrutement politique, où ce Cette nature humaine a ensuite été caractérisée par un ensemble de caractéristiques négatives de morale dont égoïste Trick ingratitude et d'autres ... à partir d'ici pour être le prince de les prendre en compte, était son point de vue de son pessimiste pour que ce soit le Prince pour être debout et deux capacités de prudence et de la force négative et tourner un oeil aveugle à l'éthique et la religion afin de parvenir à des fins politiques, afin de comprendre ce qui a Tbennina approche historique comparative afin d'atteindre les objectifs de la recherche.

Mots clés: la nature humaine, le recrutement politique, Makiavlje, Prince, de la Renaissance, l'éthique, la politique, la religion.